





General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
*General Organization of the Alexandria Library*

رئيس مجلس الإدارة  
د. سمير سرحان

رئيس التحرير  
د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير :  
عبد العظيم الشبلي

قصة احلال محمد علي  
لليونان  
١٨٤٤ - ١٨٤٧

تأليف  
د. جميل عبيد



المكتبة الوطنية والمستندة للكتاب

١٩٩٠

الأخراج الفني وتصميم الغلاف : أسامه سعيد

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب الذي يتناول موضوعاً فريداً من موضوعات التاريخ المصري الحديث ، وهو فتح محمد علي لليونان . ومن المعروف أن امبراطورية محمد علي قد امتدت الى الحجاز والسودان والشام ، وقد أراد الوصول بحدود مصر الى آخر بقعة تتحدث باللغة العربية ، الأمر الذي دعا البعض الى اعتبار ذلك ارهاصاً بفكرة القومية العربية التي ظهرت في القرن العشرين . ولكن من الثابت أن محمد علي هو مؤسس دولة مصر الحديثة ، وهو الذي نقلها من العصور الوسطى الى العصر الحديث .

والكتاب الذي بين أيدينا يتحدث عن احتلال محمد علي لبلاد اليونان ، وهو يبدأ بتتبع استراتيجيات مصر في عهد محمد علي خطوة خطوة ، ويحاول تحليل موقف الدولة العثمانية - التي كانت مصر جزءاً من امبراطوريتهما الواسعة وولاية من ولاياتها - بازاء أملاكها في أوروبا ، وازاء شعوب البلقان التي لم تكف عن الثورة عليها . ويركز الكتاب على الزعامة الثورية اليونانية ضد الأتراك

العثمانيين ، وكشف وقفت الدولة العثمانية عاجزة أمامها حتى لجأت إلى مصر محمد علي لانجادهها . ثم يناقش الخطوات والمراحل التي انتهت باحتلال محمد علي لليونان ، وما أعقب ذلك من تحرك أوروبي عسكري لمواجهة ، ويبرز محاولة محمد علي تجنب الصدام العسكري مع الدول الكبرى لولا سياسة الحكومة العثمانية الخرقاء التي دفعته إلى الالتحام بالقوى الكبرى ، فكانت الهزيمة في موقعه « نافارين » الشهيرة يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ . وقد كان بعد تلك التجربة القاسية أن أخذ محمد علي يتطلع إلى الاستقلال بمصر عن السياسة العثمانية وتوجهاتها ، وهو ما نجح فيه نجاحا محققا .

ومؤلف الكتاب هو الدكتور جميل عبيد ، الذي كان محاضرا للتاريخ الحديث بكلية التربية بجامعة عين شمس ، وعمل أستاذا للتاريخ الحديث بجامعة البصرة بالعراق وقسنطينية بالجزائر . ومن مؤلفاته المنشورة « الحكم المصري لجنوب السودان » وهي رسالته للدكتوراه ، و « أمين باشا » ، الحاكم الألماني للمديرية الاستوائية من قبل مصر في عهد الخديو اسماعيل ، وموقفه من الثورة المهدية وكتاب « المهدية في السودان وموقف مصر منها » .

وأملي أن يساهم هذا الكتاب في تنوير القارىء بفترة هامة من فترات تاريخ مصر الحديث .

**رئيس التحرير**

**د. عبد العظيم رمضان**

## تعريف بالكاتب

---

فكرة عن الكاتب :

الدكتور جميل عبيد تخصص في دراسة تاريخ  
مصر الحديث وعلاقاتها بإفريقيا والدول الأوروبية .

عمل في مصر في وزارة التعليم ومراكز بحثها  
ومحاضرا للتاريخ الحديث بكلية التربية/جامعة عين  
شمس ، كما عمل في العراق أستاذا للتاريخ الحديث/  
بجامعة البصرة . وفي الجزائر أيضا بقسم العلوم  
الاجتماعية/جامعة قسنطينة .

ألف كتاب المديرية الاستوائية تحت حكم مصر ،  
معتمدا فيه كمرجع أساسي على الوثائق الأصلية في مصر  
ولندن . وترجم كتاب المهديّة في السودان . كما كتب



عدة بحوث عن دور الأمان في وسط أفريقيا ، وبعثة  
جوبا المصرية في عهد الخديوي اسماعيل ، والاتحاد  
الاقتصادي كمقدمة للاتحاد القومي بين الدول العربية .  
كما قام بدراسة وثائقية محضرة عن الجيش المصري في  
السودان . هذا غير مجموعة أخرى من الكتب في  
التاريخ والتربية وبعض المقالات التي نشرت في مصر  
والبلاد العربية .

## مقدمة

---

جاء محمد علي الى مصر ، ضمن الجيش العثماني الذي دخلها عقب انسحاب الحملة الفرنسية - حملة نابليون بونابرت ١٧٩٨ - ١٨٠١ منها . جاء كقائد لاحدى الفرق الالبانية ، وكان المعروف اذ ذاك أن الفرق الالبانية هي أكثر الفرق تمردا وشراسة فى الجيش العثماني .

وبعيدا عن كل ما قيل فيما بعد فى مدح محمد علي وما أحيط به من أساطير تتعلق بطفولته أو شبابه سواء بحق أو عن تملق ، فإنه لم يزد عندما جاء الى مصر عن قائد عادى بين قادة عديدين ، ولم يتصف بقدر يذكر من الثقافة أو العلم ، ومع ذلك فقد أصبح واليا أو حاكما على مصر وأسس بها ما عرف باسم الأسرة العلوية . فهل هي ضربة من ضربات الحظ تلك التى قذفت به الى هذا المركز ، أم ان هناك امكانيات ومواهب خاصة اتصف بها من ذكاء وبصيرة ومرونة هى التى صعدته ... أم هى المناورة والقدرة على التخطيط والتصرف بحزم ... ؟

مما لا شك فيه ، أن الشعب المصري العريق عانى الكثير خلال  
العهد العثماني ، سواء من الترك أو من المماليك ، حتى هبط تعدادهم  
إلى ما يقرب من المليونين في أوائل القرن التاسع عشر . وكان من  
بين أسباب تلك المعاناة عجز الدولة العثمانية عن توفير الحد الأدنى  
من الخدمات للحفاظ على مستوى مناسب لمعيشة الشعب المصري .  
والأكثر من ذلك عجزها عن دفع رواتب جندها ، وعندئذ لا يجد  
أولئك الجند من سبيل لاستيفاء حقوقهم سوى التمرد والعصيان  
ثم الانقلاب على الشعب المصري ونهب أموال أبنائه والاعتداء على  
كرامته وتجارته بل وأرواح رجاله أحيانا . فإلى من يلجأ المصريون  
وهم محرومون منذ زمن طويل من السلاح . . . ، فإن ثاروا أخمدت  
ثورتهم بقسوة . . . ، فهل يلجأون إلى المماليك . . . أولئك  
المتغطرسون المستبدون ، لقد سقطت صورتهم في أعينهم . . .  
ورأوا بأعينهم كيف هزموا وولوا الأديار أمام الفرنسيين وأسلحتهم  
الحديثة .

استطاع محمد علي . . . الرجل الأمسي . . . أن يتفهم  
الوضع . . . ويلم بالموقف . وهكذا أمسك بطرف الخيط الذي  
يمكن له أن يسير على هداه . أن الأمر ببساطة أنه اكتشف أن  
السبيل الوحيد لتهدة رجاله ومنع تمردهم هو دفع رواتبهم .  
والدولة العثمانية عاجزة عن دفع رواتبهم . . . ، فماذا عليه لو  
تفاهم مع زعماء المصريين ، شيوخهم وعلمائهم على حل مناسب . . . ،  
قدموا له ما يقابل رواتب جندي وأنا كفيل بتهدئتهم ومنع شرهم  
عندما يتمردون . عنكم . وهكذا كانت البداية في العلاقة الطيبة  
التي قامت أولا بين المصريين ومحمد علي . وهي علاقة أساسها  
تبادل المنفعة . حصل المصريون على الأمن وإطمأنوا على تجارتهم  
وأملأهم ، وفي المقابل سيطر محمد علي على فرقته وكسب ولاءها .

وبدا تحركه استنادا الى القوة التي تحققت له ، ، ولاء الجند . . . .  
ورضاء الشعب المصري . . . .

ومن هنا بدأ محمد علي يرتقى السلم الذي أوصله الى الحكم والسلطة . وأصبح الوحيد الذي لديه امكانيات الاستجابة لطلبات السلطان العثماني . بعد أن عجز الولاة السابقون عن ذلك ، فأضاف اليه بعد أن ولاء علي القاهرة ولاية الاسكندرية وجمرك مصر . واستطاع التخلص من سطوة المماليك الذين أفسدوا البلاد فيما عرف تاريخيا باسم مذبحه القلعة . وعندما كلف بإخضاع الوهابيين نفذ ما أنيط به بإصرار عجيب وبمباشرة بالغة . واتخذ عقيب ذلك ، خطوات واقعية امتدت ادارته بمقتضاها جنوبا ، الى السودان حتى منطقة السنود .

وخلال ذلك تفجرت الثورة في بلاد اليونان ضد الدولة العثمانية . واستطاع الشعب اليوناني ، بضربات مفاجئة ومنتالية ، طرد العثمانيين من معظم النقاط العسكرية في بلادهم . وذهبت محاولات الدولة ، رغم جميع المذايح التي اقترفتها ، في سبيل استعادة سيطرتها على أحقاد الحضارة الاغريقية ، هباء بلا طائل .

وهنا استجار السلطان ثانية ، بتابعه علي مصر محمد علي لمساعدته ولانقاذ أملاكه ، فلبى النداء مستعينا بما وصل اليه الجيش المصري الحديث التدريب من قوة ، ومنح القيسادة لابنه ابراهيم الذي نجح في اعادة جانب كبير من بلاد اليونان والجزر التابعة لها الى السيادة العثمانية والى الحكم المباشر لمصر .

ولكن هل تقف القوى الاوربية صامتا ؟ ان لكل منها أهداف وأطماع ولكل منها سياسة خاصة . فروسيا ترحب بكل ما يصيب تركيا من تمزق وتتعاطف مع اليونان مذهبيا ، ولكن يحد من

تدخلها التزامها بمبدأ احترام السيادة الشرعية للدول والملوك .  
وعندما رفع اليونان نداءهم لانتقاد الحضارة الاغريقية وابنائها من  
الابادة على يد الأتراك البرابرة تأثرت دول أوروبا الغربية وخاصة  
انجلترا وفرنسا بذلك النداء ، ولكن الى اى مدى ؟ ... فلا بد  
من الحفاظ على تركيا .

ولما كانت مصر بجيشها هي التي سيطرت واقعيا على بلاد  
اليونان ، فكان لابد لتلك الدول من التفاهم أولا مع مصر ومع  
محمد علي ، ومن ثم توافد المبعوثون عليه وكان عليه ان يدخل  
في مفاوضات ومساومات معهم وهو الامى غير المتعلم . وأهداف  
محمد علي صريحة وواضحة كما سنرى . هو يريد كسبا يعود عليه  
وعلى مصر . يريد أن يحقق لمصر قوة وثراء ، ويوفر لنفسه ولأسرته  
من بعده بقاء واستقرارا .

عنده هي قصة مصر محمد علي واليونان . قصة صراع  
عسكري وسياسي ودبلوماسي لا على مستوى اليونان والترك فقط ،  
بل على المستوى الأوربي والعالمي بمعنى آخر . ولم يكن ذلك  
الصراع موجها ضد اليونان الا بقدر الحصول على مكاسب لمصر .  
وبالتالى للأسرة التي تتربع على قمة ادارتها .

( دكتور جميل عبيد )

## الفصل الأول

---

# استراتيجية محمد علي



## استراتيجية محمد علي

### مصر في العهد العثماني

أصبحت مصر منذ عام ١٥١٧ ولاية تابعة للدولة العثمانية ،  
بعد أن دخلها السلطان التركي سليم الأول وعلق آخو سلاطينها  
المماليك ، طومان باي ، علي بابا زوييله .

ومنذ ذلك التاريخ ، والسلطنة العثمانية نجرت على تعيين  
وال تركي من قبلها . وبدافع من عقدة الشك التي سيطرت على  
الإدارة العثمانية والخوف من استقلال أي من الولاة وانفصاله  
بولايته عنها ، عملت إلى السير وفقا لسياسة إدارية ، قوامها تبديل  
الولاة الذين تعينهم على كل من ولاياتها خلال فترة وجيزة تتراوح  
بين عام وثلاثة أعوام .

وفي ظل تلك السياسة ، جاء محمد علي إلى مصر عام ١٨٠١ ،  
كمساعد لأحد قادة الفرق الألبانية التي دخلت مصر مع الجيش  
العثماني ، بعد انسحاب الحملة الفرنسية منها ، وسرعان ما نجح  
في إيجاد نوع من العلاقات ، غاب على بعضها الود والتفاهم ، مع



العناصر صاحبة النفوذ في مصر ، وخاصة من بين أمراء المماليك وعلماء الدين وكبار التجار المصريين .

كان من عادة الفرق العثمانية في مصر أن تتمرد وتثور كلما تأخر صرف رواتبها ، وأن يعيث في البلاد نهبا وسلبا . ووجد العلماء ، وهم زعماء الشعب المطحون ، من محمد علي قلبا اتصف بالتقدير وعقلا متفهما فلجأوا اليه عدة مرات ، ليضع حدا لكل موجة من تلك الموجات الارهابية ، واستطاع بفضل وساطته مع نبيء من الضغط ، تحقيق الكثير من مطالب الشعب . فساندهوه وايدوه وشجعوه على بولي أمر البلاد بعد أن فشل عدد ممن سبقه في الولاية في ضبط أمورهما . وأرسل العلماء لسلطان تركيا سليم الثالث يلحون في إعطاء محمد علي ولاية مصر أو القاهرة ، بدلا من ولاية جدة التي قررت له ، بفعل المؤامرات العثمانية لإبعاده عن مصر .

وعلى غير ما جرت عليه العادة ، استجاب السلطان لرجاء العلماء . وذلك بعد أن فشل جميع الولاة الذين أرسلهم بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر ، في ضبط أمورهما وإرسال نصيبه من خزائنها .

وهكذا تولى محمد علي في عام ١٨٠٥ على مصر والقاهرة ، كعجزة تابع أو موظف من موظفي السلطنة العثمانية . ووفقا لما جرى عليه العرف فإن بقاءه في ذلك المنصب أو تلك الوظيفة لم يكن له أن يدوم في أفضل الاحتمالات أكثر من أعوام ثلاثة .

أدرك محمد علي وقد تولى أمر مصر بعد العديد من الفتن العسكرية والثورات الشعبية ، أن لا بقاء له إلا إذا نجح في تهدئة الجنود وارضاء الشعب المصري وعلمائه وتأمينهم ، بالإضافة الى كسب ثقة السلطان . وثقة السلطان يمكن أن تكتسب إذا استطاع اغتنام الأموال عليه والهدايا . ولا سبيل للأموال اللازمة لكسب

السلطان . وتهدة الجند الا عن طريق الشعب المصرى . وقد ايدى هذا الشعب فى مقابل ما وعده به من تحقيق الأمن والعهد : وهكذا وضعت خطة محمد على التى نفذها بكل صراحة وبكل بساطة . . . . .  
حقق الامن والسلام للشعب المصرى . وفى المقابل . . . . . حصل على أموال . . . . . أغدق منها على السلطان . . . . . ودفع منها رواتب الجند ما سبق منها وما لحق . وبرغم ذلك فانه كان يعلم بما ، ان رجاء السلطان لا ضمان له . . . . . بل ان تأييدك علميا مصر وتجازها وشعبها له بالاضافة الى انتظام الجند وطاعتهم له ، قد يحولان من عوامل انارة الشكوك فيه وفى نواياه .

ولكن الأحداث ، التى أحسن محمد على استغلالها كانت من عوامل اطالة بقائه فى مصر فترة بعد أخرى . فقد نجح فى عام ١٨٠٧ ، فى صد الحملة الانجليزية التى جاءت مصر بقيادة فريزر . وقد هربها ، بفضل تعاون قوة محلية مع المقاومة الشعبية لاجالى رشيد . فكان هذا النجاح ، بعد ما أصابه من توفيق فى تطويع مماليك مصر ، من عوامل اقناع سلطان تركيا بمدى ما يمكن ان يعود عايه من نفع اذا ابقى على محمد على واليا على مصر فترة أخرى .

اقتنع اذن السلطان بأنه وجد فى مصر ، التى تعرضت للغزو الأوربى مرتين ، من قبل فرنسا ثم من قبل انجلترا ، فى خلال فترة قصيرة ، الرجل الذى يستطيع ان يعتمد عليه ، فرضى عنه وضم اليه ولاية الاسكندرية كما ضم اليه ادارة الجمارك المصرية . وبدأ يعد للاستفادة من هذا الرجل . فى تحقيق أغراض السياسة العثمانية نحو ولاياتها المتناثرة فى الشرق والغرب . التى كانت تبحش بالثورات والفتن فضلا عن الحركات الانفصالية . فالدولة العثمانية اذ ذاك ، كما قيل عنها ، هى رجل أوروبا المريض . ومع أنها كانت فى دور الاحتضار ، الا أنها بقيت على قيد الحياة ، ولم تحاول أى من الدول الكبرى اذ ذاك ، روسيا وانجلترا وفرنسا

والدمسا ، القضاء عليها ، تنفيذاً لمبدأ التوازن الدولى بينها ، أى  
بمنضل اختلاف تلك الدول وما نشب بينها من صراع معلن أو  
مستتر ، حول الكيفية التى يتم بها اقتسام أملاكها الشاسعة .

### الحركة الوهابية

وكان من أهم تلك الفتن التى تفجرت داخل جسم الدولة  
العثمانية ما عرف باسم « الحركة الوهابية » التى قامت فى بلاد  
العرب . وقد بدأت تلك الحركة أولاً ، فى صورة دينية هدفها  
تنقية الدين الإسلامى من بعض الشوائب التى علفت به ، ثم  
ما لبثت أن تحولت الى حركة سياسية عسكرية ، حين احتضنها  
آل سعود ومدوا نفوذهم على المراكز الإسلامية المقدسة ، خاصة  
مكة والمدينة ، ومنعوا اذ ذاك ورود الحجاج ، مما أثار ضيق العالم  
الإسلامى ووضع سلطان تركيا ، وخليفة المسلمين ، وحامى حصى  
الإسلام ، فى وضع العاجز عن حماية المدن الإسلامية المقدسة .  
واقامة شعائر الحج بها .

وهنا ضغط سلطان تركيا على محمد على ، ليرسل قوة من  
مصر لاختضاع تلك الثورة . ولم يجد هذا بدا من أن يلجأ أمر  
السلطان فى عام ١٨١١ . فدخل فى حرب مع الوهابيين ببلاد  
العرب استمرت حتى عام ١٨١٨ . وانتهت بإعادة نفوذ السلطنة  
التركية الى تلك المنطقة ذات الحساسية الكبرى بالنسبة للعالم  
الإسلامى . وكان هذا هو أول ميدان خارجى عمل فيه محمد على  
وجرب فيه قوة مصر الناشئة ، ومدى قدرتها على تمويل الحرب .  
وقد نجحت التجربة . واستطاع أن يؤدى ، على حساب مصر وشعبها  
وشبابها ، خدمة جليلة للسلطان العثمانى ، فضلاً عن العالم  
الإسلامى ، الذى عرف بما لدى مصر من امكانيات ، وبما له - أى  
لمحمد على - من قدرات .

وقد كان للحرب الوهابية فضل آخر له طابع ايدولوجى على  
آمال محمد على وأهدافه ، فمن المقطوع به انه ، بصفته واليا من  
قبل الدولة العثمانية خاضعا لنظمها القائمة على التبديل والتغيير  
السريع ، كان محروما من أى أمل فى الاستقرار ، برغم معاونته  
لها وبرغم نجاحه فى خدمتها ، وبالتالي فإن عدم احساسه  
بالاستقرار ، لم يشجعه فى بادىء الأمر على اعداد سياسة خارجية  
بعيدة المدى ، تؤكد صالح مصر وتؤكد بقاءه فيها بعيدا عن خطر  
العزل أو النقل . وكان محمد على مدركا الى أبعد حدود الادراك ،  
لما جرى عليه العرف العثمانى اذ ذاك ، الا وهو استغلاله كآى وال  
آخر الى أبعد حدود الاستغلال ، واستنزاف الولاية التى ولى امرها ،  
مصر الغالية . وما أضيف اليها ، مثل الحجاز الطاهرة ، الى أبعد  
حدود الاستنزاف .

وبرغم كل تلك الاعتبارات ، فقد أتيجت لمحمد على فرصة  
ذهبية من جراء دخوله الحرب الوهابية . ذلك ان تلك الحرب  
اضطرت له للعمل فى البحر الأحمر حتى مدخله من جهة المحيط  
الهندي ، بل واضطرت له للعمل فى بعض جهات الخليج العربى ،  
ونظرا لوجود حساسية بالغة لدى انجلترا ، فى شأن جميع النقاط  
الواقعة على طريقها البحرى الى الهند ، فقد طلبوا من محمد على  
وديا ، تجنب العمل فى مناطق عدن والخليج العربى وسواحل  
الحبشة ، تحاشيا للاحتكاك بين قواتهم وقواته . وقد أثر محمد  
على فعلا تحقيق طلبهم وتجنب مواطن الاحتكاك بالأسطول البريطانى  
ومعاقله ، وخاصة ان ذلك الأسطول كان يواجهه من الأمام فى البحر  
الأبيض ، ومن الخلف فى عدن والخليج العربى . وبالإضافة الى  
ذلك العامل ، فإنه تنبه الى ما يمكن ان يعود على أهدافه من كسب ،  
اذا استطاع ايجاد علاقات ود وصداقة ، أو بعبارة أخرى علاقات  
تجارية ومصالح مشتركة وخدمات متبادلة تربطه بانجلترا . وقد

تتيح له الحصول على ما يريد مما له لدى السلطان ، اذا أراد ذلك  
ازاحته عن مصر وولايتها أو اذا أراد عزله .

### مجهود علي والسودان

وفد عمل محمد علي أيضا على التوسع في السودان ، بحجة  
طاهرة هي القضاء على أمراء المماليك الذين تجمعوا على حدود مصر  
واطرافها وهددوا سلامتها ، وبالتالي سلامة السلطنة العثمانية  
وأملاتها التي لا تمتل مصر الا ولاية من ولاياتها ، وبهدف حقيقي  
وجوهري هو . . . . . التحصل على موارد جديدة للمواد الخام خاصة  
الذهب المزعوم ، وطمعا في تجنيد قوة من السودانيين المحاربين  
نعوض خسائره في الرجال ، وتزیده قوة فوق قوة وترفع امكاناته  
في خدمة العالم العثماني الذي تمثل مصر أحد محتواه اذ ذاك .  
فضلا عن تحقيق طموحاته الشخصية . .

وهكذا عمل محمد علي في الأقطار العربية . . . في شبه  
الجزيرة العربية . . . وفي السودان ، طليقا من كل قيد . . . لا دخل  
لحكومة السلطان في "خططة" ومشروعاته ، الا بقدر بذل القاب  
التشريف وسيوفه وجواهره ، وتنميق عبارات الاطراء له ولابنه  
ابراهيم قائد الجيش المصري . .

لم تحاول القوى الأوروبية الاصطدام به علنا كما انه كان  
يتحاشى ذلك كما رأينا . فالسياسة الفرنسية اذ ذاك كانت أقرب  
الى الجمود والهدوء منها الى النشاط والحركة ، والسياسة  
الانجليزية ، برغم عدم ارتياحها الى استعانة محمد علي بمستشارين  
فرنسيين ، الا انها كانت لا تميل كثيرا الى التدخل في شئونه ، الا  
بقدر تنبيهه الى الاعتماد عن مناطق نفوذها وتجارتها الى الهند .  
وهكذا سنحت الفرصة لمحمد علي لينظم وحدات جيشه المصري .  
وينشئ أسطول البحرى ويزيد موارد مصر وموارده .



General Organization of the Alexandria Library (GOAL) :

*Bibliotheca Alexandrina*

الفصل الثانى

الثورة فى البلدان



## الثورة في البلقان

### الحكم العثماني لشبه جزيرة البلقان

الباحث التاريخي في ثورة البلقان بصفة عامة وثورة اليونان بصفة خاصة ، يواجه بعض الغموض وتعوزه الكثير من الوثائق أو على الأقل البيانات . فالقليل من المواطنين في ذلك الاقليم كانوا يحسنون الكتابة اذ ذاك ، وبالتالي لم يوجد العدد المناسب من القادرين أو الراغبين في تسجيل الأحداث تسجيلًا تاريخيًا نزيهاً أو خالياً من المؤثرات الشخصية والعاطفية ، إلا اذا استثنينا فئة رجال الدين الأرثوذكس ، وكان مما يعيبهم أن اهتمامهم تركز على الأحداث المتعلقة بالشئون الدينية ، دون الاهتمام بمتابعة الأحداث العامة السياسية والاجتماعية بدقة أو انظام . أما الفئة العارضة من السباح والزوار القادمين من الخارج ، فقد اكتفت بسرد ما انفلتت به من أحداث بارزة ، جرت في المدن الكبرى بطريق الصدفة في فترة مساحتهم أو زيارتهم .

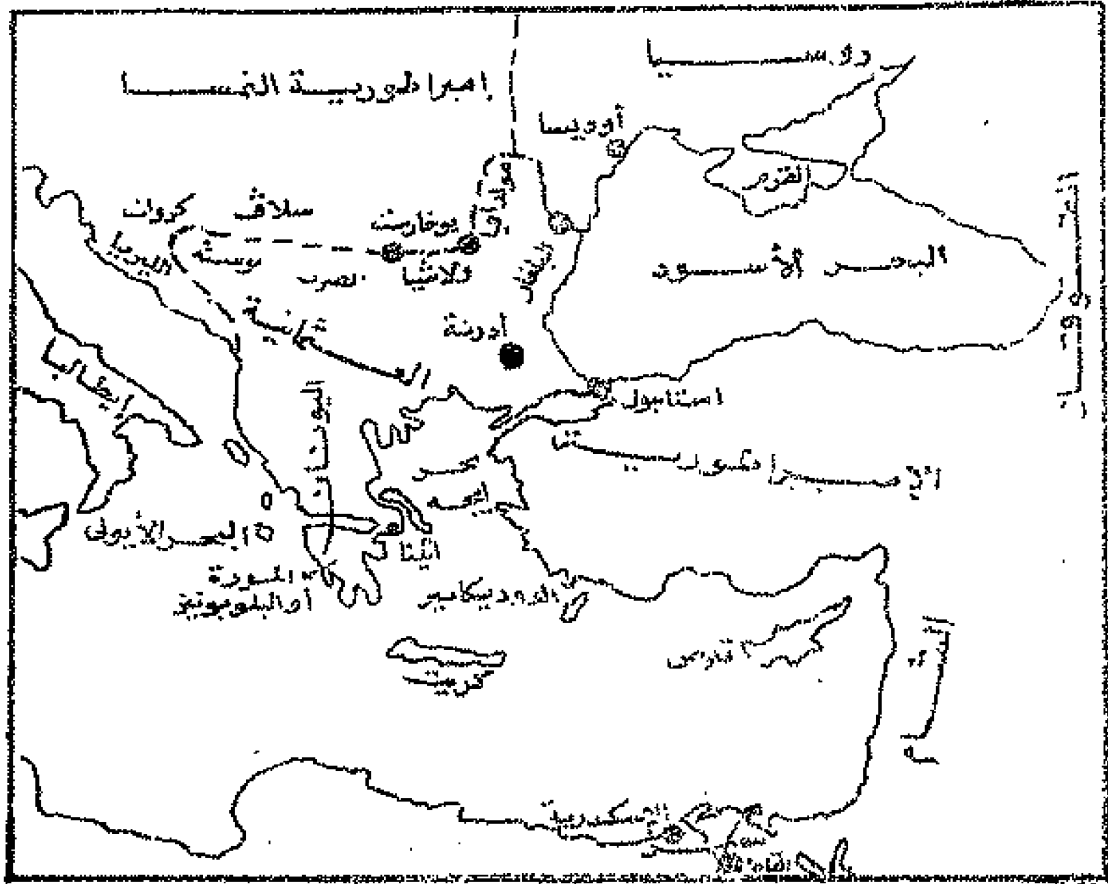
وقد استخدم هذا المحصول الضئيل من المعلومات فيما بعد ، بواسطة مؤرخين أو كتاب من البلقان ، شكلوه في ضوء عواطفهم القومية ، التي نقيت على الغزاة الأوائس لأوطانهم من العنصر



التركي ، فكانت الحصيلة الطبيعية لكل ذلك ، رسم صورة مؤلمة ومزرية للأوضاع الاجتماعية بالبلقان ، خلال فترة الحكم العثماني من بدايته الى نهايته . ولكن الدراسة المتأنية والعادلة ترينا ، ان الشعوب التي خضعت للحكم العثماني في البلقان ، لم تكن أسوأ حالا من مثيلاتها اذا أخذنا من النظام الطبقي السائد ، معيارا للقياس المقارنة .

لقد مارس الأتراك سيادتهم في البلقان بصور متباينة ، وقد تختلف في شكلها من اقليم لآخر ، وان تشابهت غالبا ، من حيث وجود وسيط ، يصل بينهم وبين الشعوب المحكومة ، بحيث لم يكن التركي ظاهرا بصورة مباشرة في جميع الأوقات . ففي ألبانيا والجبل الاسود Montenegro ، اكتفى الترك بالحصول من أولئك الجبلين العناية على الجزية ، ترسل سنويا الى اسطنبول دون ان يظهر في بلادهم من العنصر التركي أو السادة الأتراك ، الا قلة نادرة بين الحين والآخر . أما الموانئ الهامة التابعة للإمبراطورية العثمانية ، مثل ميناء دوبروفنيك Dubrovnik ( وهو يدعى حاليا ضمن حدود يوغوسلافيا ) وهو مركز تجارى عظيم الأهمية والنراء على ساحل الأدرياتيک ، فاكتفى بدفع ما عليه من جزية . دون أن يعوق ذلك حريته في منافسة البندقية في المكانة والشراء . أما اقليم مولدافيا وولاشيا الرومانيان ( يعرفان أيضا باسم اقليم الأفلاق والبغدان ) . فقد احتفظا بشخصيتهما ، وبما لأمرائهما من مكانة كطبقة ارسستقراطية . أما حكامهما فكانوا يختارون من عائلات يونانية محدة ، يطمئن السلطان العثماني الى ولائهما له ويطلق على أفرادهما اسم طبقة الفاناريوتس Phanariotes . أما في اليونان فمع وجود طبقة عليا من رجال الدين ومن يدور في فلکهم ، الا أنه اذا تركنا رجال الدين جانبا فإن الصعوبة بمكان ، التعرف بين اليونانيين على طبقة خالصة تسمى

الامارات العثمانية في أوروبا  
 اوائل القرن التاسع عشر



ارستقراطية لها عراققتها ، الا اذا وجدت في بعض الجزر الايونية .  
رفد جرى العرف هنا على ان يكون حكام اليونان من العنصر التركي .  
وهؤلاء كانوا يدعون أعيان اليونان للتشاور معهم .

هناك ايضا ظاهرة أخرى اتصف بها مجتمع البلقان تحت  
الحكم العثماني ، هي الاختلاف الواضح والتباين الكامل بين مجتمعه  
في المدن ومجتمعه الريفي . فالمليون تركي أو الاكثر أو الأقل الذين  
استقروا أجدادهم في البلقان منذ القرن الرابع عشر ، تركوا على  
وجه العموم في المدن الكبرى . مثل آتينا وسالونيك وبلغراد وأحيانا  
في بعض المدن الأصغر . ولكنهم تجنبوا الأرياف والمناطق الجبلية ،  
وشكلوا بالنسبة لتعداد الاقليم اليوناني بالذات ، على سبيل المثال ،  
في أوائل القرن التاسع عشر نحو العشر . ومع انهم امتلكوا أكثر  
من نصف أراضي اليونان . الا انهم ثبتوا على استقرارهم في المدن ،  
واندمجوا في مختلف الأنشطة المدنية . كما ارتبطوا بالحاميات  
العسكرية وخدماتها ، وأشرفوا على الصناعات الحرفية ومارسوا  
نشاطات اقتصادية وتجارية . وفي الأعمال التجارية انضم لهم بعض  
اليهود واليونان . أما الريف فقد ترك كلية للمواطنين الأصليين  
سواء اكانوا من اليونان والصرب أو البلغار والرومان . وهكذا وجد  
في البلقان ذلك الفارق الكبير ، بين التكوين الاجتماعي للمدينة  
والتكوين الاجتماعي للريف ، برغم أن الأخير مفروض فيه أن يمثل  
الخلفية الطبيعية للمدينة ، ليس فقط في أساليب الحياطة  
وتقاليدها مما قد نجده في بعض أنحاء أوروبا بل أيضا في الأصول  
الجنسية واللغوية لكل منهما . ويزداد هذا الفارق وضوحا اذا  
أجرينا تلك المقارنة بين سكان المدينة وسكان المناطق الجبلية  
بالبلقان .

ومن الصفات الاجتماعية الأخرى المميزة للبلقان ، أن طبقة  
الزراع . كانوا يدفعون ضريبة لسيادتهم سواء اكانوا من مواطنيهم

الأصليين أم من الأتسراك المتألمين ( ونقصه بهم أحقاد الأتراك  
الغزاة الذين نأقلهموا فى بيثة البلقان وعاشوا فى مدنها الكبرى ) .  
وذلك فى حدود عشر المخصصول تقرىما ، بينما كانت حكومة  
السلطان تحصل على مبلغ اجمالى محدود من كل اقليم من أقاليم  
البلقان . ولذا فان احتمال الاحتكاك كان أكثر ورودا بين الزراع  
وسادتهم ، مما هو بين المواطنين بمختلف طبقاتهم ، وبين الادارة  
التركية أو الحكم العثمانى .

ومن المظاهر البارزة أيضا فى الادارة التركية بالبلقان ،  
ندرة استخدامها لنظام السخرة ، كما جرى عليه الحال فى النظام  
الاقطاعى بأنداء أوربا .

وهناك أيضا ظاهرة أخرى تنير الشك . حول صحة الصورة  
القائمة التى أعطيت أو أذيعت عن الادارة التركية أو الحكم العثمانى  
للبلقان . وهذه الظاهرة نجدها بشكل واضح فى الشعب  
اليونانى ، فقد كان الباب العالى يخصصهم بكثير من الوظائف العليا  
فى الدولة ، فمنهم كان كاتب سر الأسطول ومترجم الباب العالى  
وحكام ولايتى الأفلاق والبلغدان حيث يسود الجنس الرومانى . ولما  
كان المذهب المسيحى السائده فى الجانب الأوروبى من الدولة العثمانية  
هو المذهب الارثوذكسى وفق الكنيسة الاغريقية ، فقد عهد اليهم  
الباب العالى بالاشراف على الشؤون الدينية للمسيحيين فى أنداء  
الدولة ، وعين منهم بطريقا عاما مقره القسطنطينية . ومن الواضح  
انه كان فى حاجة فعلية لكسب رضا الكنيسة الارثوذكسية ورجالها  
وتقوية نفوذها ، حتى تستطيع وأبناء مذهبها الوقوف كعاجز .  
فى وجه الاتجاهات الغربية والانتشار الكاثولىكى ، الذى تنزعمه  
زوما ، والذى نظر اليه الباب العالى باعتباره رأس الحربة فى خطة  
الزحف الأوروبى نحو أملاكه فى البلقان . ولا تغفل أيضا مدى  
ما أظهره اليونانيون من مهارة فى الفن البحرى ، وفى النقل

التجارى والتبادل التجارى بين دول وموانئ البحر الأبيض . الأمر الذى سيجعلهم على بناء الكثير من السفن التجارية ، ثم انهم سلحوا تلك السفن بدعوى الدفاع عن ارواحهم وتجارتهم من قراصنة البحر . ولم تتعرض لهم تركيا فى كل هذه الأنشطة ، الا بقدر الحصول منهم على مال للخزانة . بالإضافة الى الحصول على العدد اللازم من بحارة الجزر اليونانية للاحاقهم بالاسطول العثمانى .

ومن كل ما سبق نجد ان لدينا الكثير من الأسباب المنطقية ، التى ندعونا للشك فى تلك الصورة المعتمة أو القائمة التى الصقت بالادارة التركية والحكم العثمانى لسوايات شبه جزيرة البلقان ولشعوبها .

ومع ذلك فمن الخطأ ان نأخذ كلية الجوانب الآخر من النصور للوضع ، بحيث نقول ان سكان البلقان مارسوا حياة اتصفت بالسعادة أو بالنعومة والاستقرار تحت سيادة الاستعمار العثمانى . فما لا شك فيه انهم توارثوا ذكريات مؤلمة لأحداث مرعبة وقعت لأجدادهم خلال الغزو العثمانى الأول لبلادهم ، منها أعمال الإبادة الجماعية والارهاب ومصادرة الأملاك والأقوات ، مما أشجرت اليه الكثير من الكتابات . كما أن شعوب البلقان تعرضت قبل بداية القرن التاسع عشر ، لكثير من المظالم التى كانت تزايد طردبا مع بدهور أوضاع الباب العالى واضمحلال حكومته . ولا يجوز لنا أيضا أن ننكر ، ان عنصر الأمان لم يكن متواجدا أو على الأقل لم يكن متوافرا بصفة متصلة ، لدى سكان البلقان بمختلف شعوبه . خاصة مع وجود عناصر منحرفة فى الجيش العثمانى ، من أمثال الجند الانكشارية ، الذين لم يكن لهم ضابط أو رابط يحول بينهم وبين أهوائهم وشهواتهم ، من سلب ونهب بل ومن اعتداء على الأنفس والحرمات . ولم تكن الادارة العثمانية العليا سواء من حكومة أو حتى سلطان بقادرة على ضبط سلوكهم أو الحيلولة بينهم

وبين نهب المواطنين والسكان ، خاصة اذا انقطعت روايتهم او تأخر صرفهسا من قبل المسئولين ، وهو الأمر الذى كان كثير الحدوث بصورة شبه عادية بين الفينة والأخرى خلال عصر الامبراطورية العثمانية . وليس هذا بأمر غريب عن أذهاننا نحن المصريين ، فكتابات الجبرتي سجلت الكثير من مثل تلك الأحداث والشبهات التى صدرت عن الجند الانكشارية فى مصر ، كلما تخلفت الدولة العثمانية أو الى مصر من قبلها عن صرف روايتهم .

### ثورة شعوب البلقان :

لعله من الاثارة بمكان ، ان نقول ان الحركات والثورات التى ظهرت فى الأقاليم النابعة للامبراطورية العثمانية فى أوائل القرن التاسع عشر ، وخاصة فى الجانب الأوروبى منها انما كانت من بين الارث الذى أخذته تلك الأقاليم عن الثورة الفرنسية ، وعن مبادئها ، ... الحرية ... الاستقلال ... المساواة ... الاخاء ... سيادة الشعب ... الخ . ثم ان نجاح الثورة الفرنسية وظهور نابليون كشمرة من ثمارها ، وما حققه من انتصارات ، كان دليلا ملموسا فى نظر شعوب العالم ، على ان تلك المبادئ صادقة وانها تحمل فى بنورها عنصر النجاح والانتصار . وما دام الأمر كذلك فلم لا تقتدى الشعوب بتلك الثورة ولم لا تعتنق مبادئها وتحذو حذوها .

وقد ظهر ذلك بوضوح فى شبه جزيرة البلقان . اذ أخذت الحركات القومية المحلية فى الظهور والانتشار فى أماكن مبعثرة منها ، بين الصرب والبلغار واليونان وبين الألبان والرومان . هدفها تطبيق ما تنامي الى سمعها عن تطورات الثورة الفرنسية . الخطوات التى اتبعتها ... والنتائج التى حققتها ، وذلك على بلادها وبين شعوبها . ولم تكن الخطوة الأساسية لذلك الا بالتخلص من الاستعمار التركى . والسيادة العثمانية ، ثم التمتع بحياة

قومية حرة مستقلة ، السيادة فيها للشعب وممثلة . تلك الصورة الجميلة من أنماط الحياة ، التي تبلورت وكبرت في أذهان ملك الشعوب ، كحلم أشبه ما يكون بأحلام اليقظة ، يأملون ان يتحقق ويشربون بأعناقهم الى رؤية ما ستكون عليه الحياة من جمال بعد تحقيقه . حيث سيستنشقون نسيم الحرية والسيادة بعيدا عن السيادة التركية التي أطبقت على أنفاسهم ، ما يقرب من أربعة قرون وبعيدا عن مخاوف أهوائهم واستبدادهم .

ومع ان شعوب البلقان كانت من أصول مختلفة جنسيا ولغويا واجتماعيا ، بل وأحيانا من أصول متنافرة . الا انه كانت تجمعهم الرغبة العارمة ، في تقليد الثورة الفرنسية وتطبيق مبادئها . وأتباع خطواتها في بلادهم . ولم يكن من سبيل عملي لذلك الا بإعلان الثورة .

### الموقف العثماني :

واقع الأمر ان الامبراطورية العثمانية ، كانت في أوائل القرن التاسع عشر ، بمثابة جسم منتفخ يعيش على قلب منهك . فأهلاؤها متسعة وولاياتها عديدة والشعوب التي تشرف على حكمها متنوعة ومتباينة . ففي شبه جزيرة البلقان هناك الصرب واليونان والألبان والرومان وسكان القرم والجبل الأسود والبوسنة وبعض امتدادات لعناصر سلافية ، وفي الشرق عرب الحجاز واليمن والشام وأهل العراق والفلسطينيين والمصريين ، وفي شمال أفريقيا سكان ليبيا والواحات وتونس والجزائر والمغرب ، وذلك غير بعض أنحاء القوقاز وجزر البحر الأبيض وخاصة قبرص ورودرس وبحر إيجه والإدرياتيك . ولكن عدم الانضباط بل والنفك ، كان الظاهرة التي غلبت على تلك الامبراطورية المتسعة ، بسبب ضعف الإدارة

المركزية ، واتجاه معظم تلك الولايات والشعوب الى الافلات من قبضة  
السيادة العثمانية ، بزعامة رؤسائها أو حكامها أحيانا ، أو بفضل  
ظهور النعرة القومية والوطنية بين طبقاتها .

ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة ، اذا ذكرنا ان العامل الفعال الذي  
ادى مع الوقت الى تمزق الامبراطورية العثمانية لم يكن خارجيا  
بقدر ما كان داخليا . وان الدافع الأول الذى أدى الى الانفجار  
الداخلي ، وبالتالي الى انهيار السيادة العثمانية ، خاصة فى البلقان ،  
لم يكن الا رغبة شعوبه فى أن تطرح عنها نير الاستعباد التركى ،  
وتتفتح بحياة قومية مستقلة ، اقتبست عن الثورة الفرنسية  
شعارها ومواصفاتها .

وكان الخطأ الذى وقعت فيه الدولة العثمانية ، انها عجزت  
عن تفهم العناصر المؤثرة على الشعوب التابعة لها ، أو تفهم ما طرأ  
على العالم وعليها من اتجاهات . ولم تحاول التعامل مع تلك  
الشعوب بشئ من المرونة والتراضى ، أو الاستجابة ولو جزئيا  
لأحلامها . بل نظرت للأمور نظرة اتسمت بالضيق والانغلاق ، فما  
ثورة الوهابيين الا نوع من الالحاد والخروج على الدين ، وما تمرد  
« الرعاية المسيحية » فى شبه جزيرة البلقان الا نوع من التطاول  
الذى لا يمكن قبوله أو احتماله أو السكوت عنه . ولذا لم يسمع  
الباب العالى ازاء أحداث البلقان واقتفاضاته ، الا ان يسبقها باقامة  
بعض المذابح فى نقاط متفرقة للارهاب وادخال الرعب على نفوس  
المواطنين . وهذه المذابح كانت تتصاعد تصاعدا طرديا ، مع ازدياد  
قواه وهنا . ولذا لم يكن لها من تأثير سوى زيادة لهيب الثورة  
اشتعالا ، وسوى اصرار الثوار على المضي الى النهاية فى ثوراتهم .



## ثورة الصرب :

اندلعت الشرارة الأولى بين شعوب البلقان بهدف التخلص من سيادة الأتراك العثمانيين ، والحصول على الحرية من قبل شعب الصرب . وقد مر الصراع بين الصرب والأتراك العثمانيين بعدة ادوار . تداخلت فيها مؤثرات نابعة عن صراعات دولية أوروبية وصراعات عثمانية داخلية . ذلك ان سليم الثالث سلطان تركيا في أوائل القرن التاسع عشر ، كان راغبا في اجراء اصلاح جذري في النظم الادارية والعسكرية في تركيا . وقد أناج له صلح أميان وهو ما عرف باسم « سلام أميان » هذه الفرصة الذهبية . ولكن سرعان ما أحاطت به المشاكل . ذلك انه بمقتضى إحدى المعاهدات وهي معاهدة سيستوفا 1792 ، تقرر إعادة بلغراد - عاصمته يوغوسلافيا الحالية - والأقاليم التابعة لها للسلطان . ولكنه تقرر أيضا بمقتضى تلك المعاهدة ، عدم السماح للانكشارية ، الذين كانوا يسيطرون في السابق على تلك العاصمة وملحقاتها ، بالعودة الى حكمها . وذلك تجنباً لشربهم وتغادياً لما كان يبره أسلوبيهم الاستبدادي وما كانوا يقترفونه من مظالم ، من اثاره للمواطنين وقد أتاح الحاكم الذي أرسل من قبل سليم لاقليم الصرب ، حكما مستنيراً اتصف بالعدل وساده السلام وبدت فيه بوادر التقدم ، مما لم يحظ بميله الاقليم على مدى قرن كامل . ولكن سليم اضطر لحدث شغل الانكشارية والرغبة في تسكينهم وارضساء بعض رعاياهم ، الى السماح لهم بالعودة الى بلغراد عام 1799 . وما كاد الانكشارية يصلون الى بلغراد ، حتى قتلوا حاكمها السابق الذكر غيلة ، ثم أعلنوا خروجهم عن طاعة سليم . واقتسم أربعة من زعمائهم اقليم الصرب فيما بينهم . وسرعان ما تتابعت انتهاكاتهم . وفق ما جرت عليه عادتهم ، لأمن وسلامة المواطنين الصربيين من مسيحيين ومسلمين على السواء ، الى أن حدثت الانفجاسة العنيفة

للمصرب في عام ١٨٠٤ . ولم تكن ضد السلطان بقدر ما كانت ضد  
الانكشارية .

وقد أمكن لنوار المصرب ، تحت قيادة قره جورج أو جورج  
الأسود Kaia George . وهو سليل أسره جورفيتس المصربية  
العريقة . وبفضل ما حصلوا عليه من تأييد وتعزيز من النمسا . .  
أمكن لهم مطاردة الانكشارية والتخلص منهم .

وهنا تصور سليم أن بإمكانه - وقد قضى على الانكشارية في  
بلغراد - أن يعيد سيطرة الدولة العثمانية عليها . ولكن قادة المصرب  
أصروا على أن يتولى مندوب من قبل النمسا ، الاشراف على ترتيب  
الأوضاع بأقليمهم وتحقيق الاستقرار في ربوعه . وأكبر من ذلك  
طمع المصرب في ان يحصلوا من أسرة الهابسبورج على مزيد من  
العون ، اذا احتاجوا لتأمين كياناتهم الجديدة بالسلاح والرجال . ولكن  
سليم اعترض بشدة على أى تدخل أجنبي في شؤون امبراطوريته  
الداخلية . مما اضطر النمسا الى التخلي عن نداءات المصرب ، حتى  
لا تتسبب في نقض معاهدة معترف بها ، في الوقت الذي تنادى  
فيه باحترام أصحاب الحقوق الشرعية ، والتمسك بالمعاهدات  
الدولية . عندئذ تحول المصرب الى روسيا واستنجدوا بها ، ولكنها  
لم تستطع الاستجابة لهم لذات العوامل التي حالت بين النمسا  
وبين التقدم لمساعدتهم . وعندئذ تشجع الباب العالي وأرسل قواته  
ضد المصرب ولكن هؤلاء وقد اعتزوا بما حققوه من انتصارات سابقة  
نجحوا في وضع نظام لحكم ذاتي يستند الى انتخاب نيابي ،  
واستطاعوا ايقاع الهزيمة بالجيش الذي أرسله السلطان .

وقد قدمت الصراعات الدولية خدمة طيبة لشوار المصرب فان  
اندلاع الحرب في عام ١٨٠٦ بين روسيا وتركيا . أقتنع الأولى بالتخلي  
عن موقفها السلبي ازاءهم فقدمت لهم جانبا لا بأس به من المدد

والسلاح استنطاعوا بفضلته تطهير كافة اقليمهم من الوجود التركي المسلح . ومن ذلك الحين ولفترة غير قصيرة ، دخلت مشكلة الصرب وما يمكن أن يكون عليه وضعهم القانوني ، في الدوامه الدولي . كعنصر من عناصر الصراع السياسي والدبلوماسي ، فيما بين القوى الأوروبية المختلفة وبعضها البعض ، وفيما بينها وبين الدولة العثمانية من جهة أخرى .

حقيقه نجح الصرب في التخلص من العثمانيين بفضل بورتهم وما حصلوا عليه من بعض العون من الخارج . ولكن من الواضح أيضا أن وضعهم القانوني لم يستقر نهائيا ، لمجرد انتصارهم على الانكشارية أو القوات التركية التي أرسلتها السلطان لمقاومة حركتهم . والواقع ان الاستقلال سواء الذاتي أو الكامل للصرب أصبح من الآن وصاعدا تحت رحمة الأهواء الدولية أو الصراع الدولي .

فعندما نجحت بريطانيا في انشاء التحالف الأوربي الثالث ضد فرنسا ، وفي ذات الوقت حاولت التدخل في شئون مصر مؤيدة لأميرانيا المالك ضد السلطان . نكمت تركيا عليها ، وكان رد الفعل الطبيعي لها هو أن تأخذ الجانب السياسي المضاد لانجلترا . فرحبت بالمساعي التي كانت تبذلها فرنسا منذ وقت سابق لكسب صداقتها . وفي ذات الوقت هادنت روسيا بل حاولت ايجاد علاقات سلام معها . حتى تتجنب احتمالات غزوها لأفلاكها . وبعد من اتحائها لاثارة القلاقل ضدها . في أقاليم البلقان وبين الشعوب الخاضعة لها وخاصة الصرب واليونان .

ولكن ما كادت فرنسا تحقق انتصارها الساحق في موقعتي أوسنرلنز وأولم ضد التحالف الأوربي . حتى أعلنت تركيا صراحة الوقوف الى جانب فرنسا . ووجدت لديها من الشجاعة ما سمح

لها بتنفيذ سياسة جديدة مضادة لروسيا ، التي ساعدت الصرب في ثورتهم ، ومضادة لانجلترا التي أيدت مماليك مصر ضد تركيا .

كان من دلائل السياسة التركية الجديدة انها قررت التخلص من حاكمي ولاشيسيا ومولدافيا الرومانيين لان ميولهما روسية ، واستبدلتهم بحاكمين آخرين يتشيعان لفرنسا ويتعاطفان معها . وازاء ذلك لم تقف روسيا مكتوفة الأيدي ، بل سارعت الى غزو أقاليم الدانوب ، وذلك في عام ١٨٠٦ ، فأعلنت الدولة العثمانية الحرب عليها ، وأغلقت بوغازى البوسفور والدردنيل في وجهه سفنها . أما بريطانيا فقد حاولت مساعدة حليفتها الحالية روسيا ، فأرسلت أسطولاً محدود العدد رابطاً أمام مدخل الدردنيل أولاً ، وطلب من سليم إبعاد الخبراء الفرنسيين من بلاده ، وأيضاً إبعاد سيباستيانى ممثل فرنسا لدى تركيا ، كما طلبت فتح المضائق أمام جميع السفن . وازاء اصرار سليم على رفض طلبات انجلترا اجتاز الأسطول البريطانى بقيادة الأميرال داكورث Duckworth الدردنيل . ودخل بحر مرمره حيث رابط فى مواجهة العاصمة اسطنبول وصوب مدافعه نحو قصر السلطان (٢) . واذ رأى السلطان سليم استحالة المقاومة فى جبهتين ، جبهة مولدافيا حيث اخترق الجيش الروسى دفاعاته وقوبل بالترحاب من شعبها ، وجبهة بحر مرمره حيث يقف أسطول بريطانى أمام عاصمته وأمام قصره . لم يجد بداً من تكليف رجاله بالتفاوض . ولكن ممثل فرنسا سيباستيانى انتهز فرصة المفاوضات الجارية وما اتاحته من سكون وهدوء ، واستطاع بفضل تعاون مجموعة من المهندسين الفرنسيين ، اصلاح الحصون المطلية على المضائق وترميم دفاعاتها . وهنا رأى داكورث من الحكمة ان ينسحب قبل ان تضيق الحلقة عايه وتطلق المضائق فى وجه اسطوله . ولم يمض عام ١٨٠٦ ويأتى

عام ١٨٠٧ الا وقد جاءت الانبياء بهزيمة الجيش الروسى هزيمة ساحقة أمام نابليون فى معركة فريدلند .

ربما سبق نرى ان الصراعات الأوربية وأحداثها ساهمت فى تعزيز الدولة العثمانية وتحسين وضعها . الأمر الذى كان يمكن أن يفتح لها فرصة الانفراد بالصرب والقضاء على حركتهم . فها هو الأسطول البريطانى يولى هاربا من القرن الذهبى ، وها هى حملة فريزر البريطانية تنسحب من رشيد بعد ما أصابها من فشل . وذلك بالإضافة الى هزيمة الروس الساحقة وانسحاب معظم قواتها المرابطة على حدود البلقان .

ولكن أحداثا داخلية أدت الى هدم كل ما كسبه الموقف التركى من تحسين دولي ، وأتاح المزيد من مجالات التفكك الداخلى فى الدولة العثمانية ، وأنتقل الى حين أيضا الصرب وتورتها . ذلك ان ظهور نحو خمسمائة من المهندسين الفرنسيين ورجال المدفعية ، الذين قدموا الى تركيا بقصد تعزيز الاستحكامات فى منطقته المضائق واستكمال دفاعاتها ونصب مدافعها ، حتى تستطيع مواجهة ما قد يستجد من تهديد أوربى بريطانى أو روسى ، أثار شكوك قادة الجيش فى اسطنبول . وعندما صدر أمر عال بتحريك بعض الحاميات التركية المرابطة على البوسفور وتعديل مواقعها ، ثارت نائرتهم وطلب الانكشارية اقالة الديوان فورا . وحيث أن روايتهم كانت متأخرة فسرعان ما أعلنوا تمردهم . وعزلوا سليم الثالث . ووضعوا صهره مصطفى الرابع على عرش السلطنة فى مايو ١٨٠٧ . أما التهم التى وجهت لسليم لتبرير عزله ، فهى انه حاول أحداث انقلاب ضد الجيش العثمانى ، بالإضافة الى انه لم يستطع انجاب وريث له بعد سبع سنوات من حكمه . ولا يهمنا من السلطان الجديد مصطفى الرابع الا انه كان العوبة فى يد من ولاه العرش . كما انه طرد الضباط والخبراء الفرنسيين وعقد مدنة مع روسيا .

عنه الهدنة أوردته حتفه لأنها اتاحب الفرصة للفرق العثمانية  
المرابطة على الدانوب في مواجهة الروس لكي تحرك مواقعها ويعود  
الى العاصمة . حيث تقدمت في يوليو ١٨٠٨ الى قصر السلطان  
بمطالب عديدة . وقبل ان تتمكن هذه القوة من اختراق أسوار  
القصر اغتال مصطفى الرابع سلفه سليم خانية اعساده لعرش  
السلطنة كما أصدر أمره بالقضاء على ذات أخيه محمود حتى لا يبق  
من أصحاب الحق الشرعي في اعتلاء عرش السلطنة أحد سواء .  
وما كادت تلك القوة تدخل القصر حتى عزلت مصطفى الرابع  
واعتقلته وولت أخيه عرش السلطنة تحت اسم محمود الثاني وذلك  
بعد ان وفقت في الكشف عن المكان الذي اختبأ فيه تحت ماني  
القصر وفي أحد الأفران المهجورة فيه !!

نجاح محمود الثاني ، بتأييد وزيره بايراكتر Bayraktar  
الذي سبق له تولي قيادة الفرق التي أشرنا الى عودتها من الدانوب  
بعد عقد الهدنة مع روسيا ، في وضع النواة الأولى لاعداد فرق  
جديدة وفقا للنظام الجديد أو وفقا للنسق الأوربي . وعندئذ نجعل  
ذلك الوزير الخطوة التالية وسمح لرجاله الذين جاءوا معه من  
الدانوب ، بالعودة الى مواطنهم الأصلية في البلدان . وهنا خلا  
الحو لانكشارية . فأعلنوا احتجاجهم على « النظام الجديد » .  
وتمردوا على السلطان محمود الثاني الذي يسعى في وزيره  
لادخاله ، وبيتوا النية على اغتياله والتخلص منه . ولم يجد هذا  
وسيلة لانقاذ نفسه سوى ان يقدم لهم وزيره ذبيحة وضحية ،  
محملا اياه مسؤولية ادخال النظام الجديد ، ومننصلا أمام المتמרدين  
من أي شأن له بتلك السياسة . وهكذا قتل الوزير ، ونشبت  
حرب أهلية في شوارع العاصمة استمرت نحو اسبوع ، عمت فيها  
الفوضى واغتيل خلالها السلطان السابق مصطفى الرابع . ولم  
يبق بعد ذلك من نسل السلاطين العثمانيين حيا سوى السلطان

محمود الثاني وأصبح توقف أى محاولة لادخال النظام الجديد للجيش العثماني أمرا غير مشكوك فيه .

من الناحية الدولية نصالححت تركيا مع بريطانيا بمقتضى معاهدة الدردنيل ، التى قضت باعادة الوضع الى ما كان عليه فى الماضى ، من حيث اغلاقها فى وجه السفن الروسية ، مما أثار الأخيرة فانتقمت لنفسها باحتلال قواتها لمناطق عدة على الدانوب . وأرغمت تركيا على التنازل لها عن بسارابيا فى مقابل إيقاف غزوها للأراضى التابعة لتركيا . وهكذا خسرت تركيا فى عام ١٨١١ وبمقتضى معاهدة بوخارست اقليما من أغنى الأقاليم التابعة لها خاصة فى انتاج القمح .

وجاءت حملة نابليون ضد روسيا فى عام ١٨١٢ بعد ان تنازلت تركيا عن بسارابيا . ولم يفد محمود الثانى الندم على قبول تلك المعاهدة أو طرده لوزيره واعدامه للمفاوضين الأتراك الذين وقعوا وثيقة التنازل عن بسارابيا لقبصر روسيا ، اذ سبق السيف العزل .

وعلى كل فان تلك المعاهدة أبقت على تبعية الصرب اسسما للسلطان الذى وعد بترك الثئون الداخلية بها تحت ادارة مواطنيها . وقد اضطر الروس ازاء زحف نابليون على بلادهم ، الى سحب بعض الفرق الروسية التى كانت ترابط فى بلغراد لحمايتها . مما جعل الدفاع عن اقليم الصرب مكشوبا . ورأت تركيا ألا تفلت من يدها تلك الفرصة الذهبية . فسعت الى استعادة سيادتها الفعلية على ذلك الاقليم . دون ان تبالى بتعاقداتها أو تعهداتها السابقة . ومن ثم فتحت صفحة أخرى من النضال والمعارك والمذابح وهزم قرة جورج فى عام ١٨١٣ بعد ان تزعم قصة كفاح دامت نحو ثمان سنوات واضطر للفرار من وطنه .

ولكن فى عام ١٨١٥ تغيرت الصورة العامة فى أوروبا ، فقد

سقط نابليون نهائيا ، واستعادت روسيا مكانتها كواحدة من القوى العظمى التي كان لها دور خاص في اسقاط نابليون ، بحيث تضاعف أمامها مركز أعدائها الدولى وخاصة تركيا .

وفى هذه الظروف المواتية ، جدد منافس قرة جورج فى زعامة الصرب . وهو ميلوش أوبرينوفيتش Milosh Obrunovitch  
اشغال نيران السورة الصربية . وفاز بتأييد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ لمنح الصرب استقلالهم الداخلى . وسمح لهم بالاحتفاظ بسلاحهم مع اعطائهم الحق فى ادارة شئونهم الداخلية بواسطة برلمان منتخب . ولم يبق للسلطان سوى سيادة اسمية ، وخاصة ان معظم الضرائب التى كانت تجمع من صربيا كانت تبقى بها . كما اعترف بميلوش هذا فيما بعد أميرا على الصرب .

وهكذا فان حصيلة الخمسة عشر عاما الأولى من القرن التاسع عشر ، بالنسبة لتركيا ، كانت تقلصا للامبراطورية العثمانية ، بعد نجاح أول حركة قومية فى البلقان ، بحصول الصرب على استقلالهم شبه الكامل وبعد اقتطاع بساراييا - أغنى أقاليمها بالقمح . كما انها لاقت تدهورا وانهيارا داخليا ، وذلك باغتيال اثنين من سلاطينها بالاضافة الى أحد وزرائها المصلحين ، بفعل ثورات عسكرية . والفشل فى ادخال النظام الأوربى الحديث فى الجيش العثماني . وفى ذات الوقت أينعت روح الحرية وانتشرت بذور القومية ، فى أنحاء البلقان بكثير من السرعة ، بعد أن وجدت فى انتصارات الصرب وتدهور الأوضاع فى الدولة العثمانية ، خير مشجع لها .

### حركة على باشا والى يانينا الالبانية :

من الصعب ان نعتبر حركة على باشا والى يانينا للاستقلال عن الدولة العثمانية ، حركة قومية بحتة ، وان كان هدفها اقتطاع



منطقة تابعة للامبراطورية العثمانية والاستقلال بها وشعبها عنها .  
الا اننا نهتم بهذه الحركة لسببين ، أولهما ان على باشا الذى حكم  
الاقليم الألبانى لمدة ثلاثين عاما متصلة حكما انفراديا ، مارس خلاله  
الكثير من مظاهر الاستقلال شبه التام . مثل الاتصال المباشر  
بناپليون وبالحكام البريطانيين للجزائر الايونية التابعة لانجلترا  
دون الرجوع للسلاطان ، كان برغم احتفاظه بمظاهر العظمة  
والفخفة التقليدية فى الشرق ، متأثرا بالاشعاعات الصادرة عن  
النهضة الأوروبية الحديثة ، وبمبادئ الثورة الفرنسية ، وكان يكن  
احتراما كبيرا وتذوقا واضحا للآداب الاغريقية العريقة ، والنظم  
اليونانية القديمة التى سيطرت فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل  
التاسع عشر على خيال أوربا ، فهو اذن وبفعل المؤثرات التى سيطرت  
عليه ، كان بحركته يمثل محاولة للمحصول على استقلال قومى  
لاقليمه ، وهو بذلك اختط نهجا أشبه ما يكون بالنهج الذى اتخذه  
محمد على بعد ذلك ببضع سنوات ، ووفق فيه الى حد لا بأس به ،  
ربما لأن ظهوره فى هذا النهج كان الشعب المصرى ولم يكن الشعب  
الألبانى . وثانى السببين ان حركته كانت بمثابة فاتحة للثورة  
البونانية أو مقدمة لها ، فقد أسهم بها ، بصرف النظر عما أصابها  
من فشل فيما بعد ، فى تشجيع الشعب اليونانى وحفزها على التحرك  
وعلى اعلان ثورته . كما أسهم فى شغل القوات التركية ، مما أتاح  
لثوار اليونان فرصة الانتصار فى كثير من المواقع على القوات  
التركية التى كانت معسكرة فى اليونان ، بفضل ما أصابها من  
ضعف بعد تناقص أعدادها .

وقد بدأ الصراع بين محمود الثانى وعلى باشا فى عام ١٨٢٠ .  
عندما شعر الأول بأن الثانى قطع شوطا بعيدا فى طريق الخروج  
عن حدود التبعية . وسلك مسلكا أقل ما يقال فيه أنه اتصف  
بالاستقلالية . ولما كان من طبيعة محمود الثانى ان يكون البادى

دائما بفتح النيران على كل من يخشاهم دون تدبير ودون تفكير في النتائج المتوقعة فانه أمر بعزل ابن علي باشا من ولاية شبه جزيرة المورة - والمورة هي الجزء الجنوبي من بلاد اليونان الذي قامت فيه حضارة اسبرطة في العهد الاغريقي - ونقله الى ولاية أصغر بقصد تقليص نفوذه وتحجيم إمكاناته هو وأبيه اذا شاء التماذي في اتجاهاتهما الاستقلالية . وكان في ذلك الاجراء مهانة غير قليلة لابن وطعنة لكرامة الأب ونفوذه . قدبر علي باشا مؤامرة للتخلص من أعدائه من مشيرى السلطان ورجال حاشيته ، ممن كان دأبهم الدس له والوقية بينه وبين العرش العثماني . الا ان المؤامرة كشف أمرها ، فعزل السلطان علي باشا وعين عدوه المذكور بديلا له على ولايته . وهنا لجأ علي باشا الى استشارة اليونان والالبان ليقفوا الى جانبه ضد الدولة العثمانية . ولكن السلطان سحب جانبيا من الفرق التركية المرابطة في أنحاء اليونان ، ووجهها ضد علي باشا في اقليم ابيروس لتأني له برأسه . وترتب على ذلك تخفيض القوة التركية التي كانت ترابط في أثينا وتريبولتزا وغيرهما من المدن اليونانية الكبرى الى الحد الأدنى . مما ترتب عليه ترك تلك المدن بدون دفاعات مناسبة في وجه أي حركة شعبية محتملة . وفي عام ١٨٢٢ وعندما نجحت الفرق التي جمعت من أنحاء اليونان في التغلب على علي باشا ، والأتين برأسه وبرؤوس أبنائه وأحفاده على أطباق من الفضة !! . . . . . لقصر السلطان ، كان زمام الموقف قد أفلت من يد الدولة العثمانية في مواجهتها لحركة اليونان الثورية .



## الفصل الثالث

### ثورة اليونان



## ثورة اليونان

### الخلفية الفكرية للثورة :

يمكن دائما أن نقول أن الخلفية التي استندت اليها حركة اليونان النورية هي مبدأ الحرية الذي نشرته الثورة الفرنسية ، مع مسيرة جيوشها وانتصاراتها في أنحاء أوروبا المختلفة (٣) والتي أقاحت أمام تقدمها الأمراء والأشراف وما لهم من سيادة إقطاعية ، والملوك والباطرة ومالهم من حقوق الهيبة مطلقة ، وأحييت الروح القومية بين الشعوب التي هضمت انسانيتهها وغلبت على أمرها .  
ومع أن جيوش الثورة الفرنسية لم تصل إلى بلاد اليونان إلا أن شباب اليونان ممن درسوا في الخارج وخاصة في فرنسا ، كان لهم فضل نقل جانب كبير من فكر الثورة إلى بلادهم .

ومن الطريف أن نذكر هنا أن أحرار أوروبا ، كانوا يحاولون خلال القرن الثامن عشر ، محاكاة الفكر الاجتماعي والثقافي للأفريق القديم ، وكانوا ينظرون بكثير من التقدير والاعجاب للأفكار السياسية التي وضعت وطبقت خلال ذلك العصر . ومن ثم فعندما تفهم شباب اليونان مع الأوروبيين ثقافيا ، مع بداية القرن التالي ،

لم يكن تأثيرهم في الواقع الا بارثهم العريق وبشرايتهم الذاتي . ومن ثم نشروا بعودتهم الى موطنهم ، نهضة فكرية عريقة الاصل . وصحوة ثقافية متعددة السمات ، وذلك بين مجتمعات البلقان المتباينة ، وخاصة المجتمع اليوناني ، ابتداء من اوديسا Odessa شمالا حتى اطراف اليونان جنوبا وشرقا ، وساحل الادرياتيك غربا . وامكن قبل عام ١٨٢٠ ، نشر اكثر من ثلاثة آلاف كتاب باليونانية الحديثة ، وهذه لم تشمل فقط ترجمة لأعمال كبار المفكرين الأوروبيين والمصلحين ، من أمثال فولتير Voltaire ، وشيلي Schilley ، وجوته Goethe ، ومونتسكيو Montesquieu بل وأيضا مفتطفات وأجزاء من أدب الاغريق الكلاسيكي في صورة مبسطة كانت في متناول فهم اليوناني المعاصر اذ ذاك .

وكما تأثرت فرنسا بأفكار وكتابات فولتير وروسو ومونتسكيو ، فان اثنين من كبار المفكرين اليونان اللذين درسا في أوروبا وعاشا بعض الوقت بعيدا عن بلادهم ، وهما ريجاس Rhegas ، وادامنتيوس كوراس Adamantios Koras أثرا أيضا في الفكر اليوناني . الأول في كتاباته التي دعا فيها مواطنيه الى امتشاق الحسام ، والى تكوين جمعيات تتولى جمع الأموال والسلاح لاستخدامهما في التخلص من السيادة التركية ونيرها . والثاني كورياس ، الذي اقتبس في كتاباته الكثير من فكر أفلاطون وروسو . فقال ان أي صورة من صور السلوك الرديء للمواطن هي مظهر من مظاهر الظلم . كما ذكر ان كل مواطن سييء ما هو في باطنه الا تركي قبيح . وبالإضافة الى ما بثه من كرة للترك ومن محاولات لنشر الفكر الأوروبي بين اليونان ، فانه أشاد بالأعمال البطولية التي وردت في تاريخ الاغريق القديم . وأثار ذكريات مجدهم التليد وحضارتهم العريقة ، التي أهال عليها الاستعمار العثماني منذ القرن الخامس عشر رماد النسيان . كما

انه حفز الانجاء الى بناء اليونان الحديثة . وأدان الالفاظ الدخيلة على اللغة ونادى بتطهير اليونانية منها ومن الالفاظ العثمانية والبربرية ، التي تسربت الى اللسان العريق واندست بين عباراته .

ان هذه النهضة الفكرية والثقافية التي طبعت بطابع فومى ، لم يكن من الممكن أن تؤتى ثمارها دون التواجد الواقعى والتعزيز الكبير للكنيسة اليونانية الارثوذكسية (٤) ، التي استطاعت الحفاظ على الشخصية المميزة للمجتمع اليونانى ، والتي استخدمت مراكزها والنوادر الملحقة بها كبؤر يتجمع فيها النوار اليونان ، كما انها وفرت خدمة أخرى هى الإبقاء على وسائل الاتصال بين الأقاليم اليونانية والعالم الخارجى . ويجب ألا تغفل دور المدارس اليونانية التي وجدت فى كثير من الأقاليم والمدن بهدف أصلى ، هو اعداد رجال الدين وتدريبهم . اذ انضم الى تلك المدارس والتحق بها الكثير من الشباب ، بهدف تعلم القراءة والكتابة والحصول على قسط من التعليم والثقافة . وأمكن عن طريق هؤلاء نشر جوانب من الفكر الثورى فى كثير من أنحاء اليونان .

ومع انتشار التعليم بين اليونان استطاع البعض ممن وصل الى مستوى علمى وثقافى لا بأس به ، الالتحاق بدراسات متقدمة فى ايطاليا وفرنسا . واتخذوا من البندقية ثم من فيينا بعد سقوط البندقية ، مركزا لنشر الثقافة اليونانية ، حيث كانت تطبع الكتب اليونانية التي انتشرت فى كثير من أنحاء البلقان وحيثما تواجد اليونانيون .

وقد أتاح تدهور الادارة العثمانية الفرصة ، لظهور الكثير من الجماعات اليونانية الخارجة على القانون ، ممن عرفوا باسم كلفتس Klephts (٥) وتقمص هؤلاء الكلفتس صورة روبن هود ودوره ، فى مهاجمة الترك وانقاذ اليونان المستضعفين ، من عمليات السلب والنهب التي كانوا يتعرضون لها خاصة من الانكشارية . وقد



قوبل كثير من أعمال هؤلاء الكلفتس بالرضاء والتأييد من قبل المواطنين . وانضم لهم كثير من المخاطرين والفدائيين . وأوجدوا بذلك نواة لجماعات من حملة السلاح ، تجيش نفوسها بالحماس والرغبة ، في انقاذ أبناء الوطن من الاستبداد وأخذ الثأر لهم من ظالمهم . كما أن حياة الجزر والشواطئ الساحلية ، دفعت كثيرا من اليونان للاتجاه الى البحر والتجارة الخارجية ، أسوة بأجدادهم الاغريق في ماضيهم العريق . وكانت معرفتهم بعسادات البلاد الموجودة بالشرق الأوسط ، مثل بلاد الشام ومصر - ولغاتهما ، ذات فائدة كبرى في انجاح نشاطهم التجارى ، بين الموانئ التركية والموانئ الأخرى المطلة على البحر الأبيض (٦) . فحصلوا على مكاسب كبيرة ، وبلغوا قدرا طيبا من الثراء ، خاصة خلال الحروب النابليونية . مما أتاح لهم فيما بعد امداد الشوار بالمال اللازم لاستمرار حركتهم ومقاومتهم . كما انهم سادحوا سفنهم التجارية برضاء الباب العالى ، بحجة واقعية هي الدفاع عن سفنهم وتجارتهم فى وجه قراصنة البحار . وعندما حانت الفرصة وشبت الثورة ، استخدموا هذه السفن المسلحة ، فى قتالها وادخال الرعب على قلوب البحارة الترك .

### حركة الأمير اليونانى اسكندر ايسلنتى :

وفى عام ١٨٢١ ، جاءت الأنبياء بقيام أمير يونانى . هو اسكندر ايسلنتى Alexander Ypsilanti ، بالنورة ، وهو الابن الأكبر لحاكم مولدافيا وولاشيا . وقد عمل فترة غير قصيرة فى الجيش الروسى وفقد ذراعه اليمنى فى أحد معاركها الحربية . وكان من العوامل التى أهلته لقيادة الثورة فى البداية ، أصله النبيل وصلته الكبيرة بقيادة روسيا ، فضلا عن شجاعته الشخصية وكفاءته ، مع ما غلب عليه من حماس شديد لفكرة الاستقلال ومبدأ الحرية .

ارتبطت تلك الحركة السورية بالجمعية السريه ، التي عرفت  
باسم هيتريا I muke Hetaeria اى باسم « جمعية الاخوان »  
التي وضعت نواتها فى عام ١٨١٤/١٨١٥ فى اوديسا . وشعارها  
هو ، استقلال امارات البلقان كلها وطرد الأتراك من أوروبا واحياء  
الدولة البيزنطية القديمة » . وقد تزايد عدد المنضمين لعضوية تلك  
الجمعية بصورة واضحة بعد عام ١٨١٨ ، خاصة فى الجنوب اى  
فى بلاد اليونان برغم ان نشأتها كانت فى الشمال . ولعل مرجع  
تكالب الشباب على الانضمام الى فروع تلك الجمعية هو الغموض  
الذى احاط بنشأتها وبزعمائها فاسماء الفادة غير معروفة ، واساليب  
التنظيم أشبه بتلك المتبعة فى الجمعيات الماسونية ، وخاصة من  
حيث تقسيم الأعضاء الى مستويات سبعة . وكان من عوامل الجذب  
لها أيضا ما أشيع من أن القيادة الفعلية لتلك الجمعية انما هى  
لروسيا ، وان تكن مستترة . واعتقد كثيرون أن كابود سترياس  
الوزير اليونانى الأصل لدى بلاط فيسبر روسيا ، على رأس تلك  
الحركة . وعندما رفض هذا الوزير أو نجسب التورط فيما عرض  
عليه من قيادة الحركة بصورة علنية ، آلت القيادة العليا للأمير  
السابق الذكر اسكندر أبسبلننى .

نصح هذا الأمير من قبل أنصاره ، بتركيز الجهد التورى فى  
المنطقة الجنوبية من البلقان ، وخاصة جنوب اليونان وبعض الجزر .  
ولكنه خالف رأيهم ووجه كل جهده الى اقليم مولدافيا فى الشمال ،  
لقربه من حدود روسيا التى يمكن الحصول منها على بعض المساعدات  
والامدادات ولأن أسرته كانت تتولى الحكم بها . واكتفى بإرسال  
بعض الأعوان لاثارة سكان الجزر اليونانية وجنوب اليونان الذى  
عرف باسم « البلوبونيز » أو « شبه جزيرة المورة » . وبنى أبسبلننى  
آماله على أن قيصر روسيا سيخفف لنجدته فور اعلانه للشورة .

لم يستطع القيصر اسسكندر التورط في تلك الحركة التي  
سببت في مارس ١٨٢١ ، رغم تعاطفه معها لأنها قامت في الوقت  
الذي كان ملوك أوروبا المطلقو السلطة ، ومنهم قيصر روسيا ،  
يأثمرون بالحركات القومية ويتألبون عليها لقمعها . وكانوا جميعا  
واقعين تحت تأثير سياسة مترنيخ وزير النمسا الأول ، بطل  
مؤتمر فيينا ، مبتدع مبدأ احترام الحقوق الشرعية وأصحابها ،  
ومنفذ نظرية عدم المساس بسلطة الملوك وأملاكهم ، والمسئول الأول  
عن تطبيق المعهود والمواثيق والالتزام بسرياتها .

وهكذا اضطر القيصر للتغلي عن تلك الثورة ، التي شجبت  
في « ياسي » ١٨٢١ من أعمال ولايتي الافسلاق والبغدان  
( ولاشيا ومولدافيا ) قرب بوخارست الحالية عاصمة رومانيا ،  
لأنها قامت في نفس الوقت الذي كان فيه القيصر ، وباقي ملوك  
أوروبا يتفاوضون في مؤتمر ليباخ ، للاشتراك في اخضاع ثورة  
سوم نابلي ضد ملكها . فكان من التناقض أن ياتمر بالشورات  
القومية في نابلي وغيرها ، ويشهد أزر ثورة البلقان ، ومن ثم ترك  
ابسلنتي ، واخوانه منفردين أمام تركيا . فجردت عليهم جيوشا عبر  
الدانوب واستطاع اخضاعهم خلال سنة أشهر دون جهد كبير .  
وفر ابسلنتي الى المجر ، حيث اعقلته حكومة النمسا في يونيو  
عام ١٨٢١ . ونال مترنيخ شرف استضافة الدائر النبيل سليل  
الاغريق في أحد سجون النمسا لمدة سبع سنوات . وعندما أفرج  
عنه خرج مقهورا ولم يمتد به العمر بعد ذلك لأكثر من عام واحد .  
وكانت وفاته أيضا بالنمسا حيث لم يعد ثانية لموطنه .

لم تكن هذه هي نهاية الثورة اليونانية بل بدايتها فان أعضاء  
الجمعية السرية ، جمعية الاخوان ، تجاوز عددهم الآن المائتي ألف .  
وأصبح هدفهم الأول والآخر هو تحقيق المبادئ التي وضعتها  
جمعيةهم الا وهي طرد الأتراك العثمانيين من بلادهم ، وتحرير جميع

الأقاليم الإغريقية الأصل وضمها إلى الأمم الكبرى ، أو بمعنى آخر إعادة الإمبراطورية البيزنطية القديمة بكامل حدودها ، أى بإملاكها فى آسيا الصغرى ، وبخاصتها القديمة فى القسطنطينية .

وهكذا قامت بعد تلك الحركة المسرحية ، كما وصفها بعض الكتاب التى قادها مغامر من مولدافيا ، ثورة قومية شرسة ، فى جنوب اليونان فيما يعرف بشبه جزيرة المورة ، وفى الجزر اليونانية ببحر إيجه .

أثبتت هذه الثورة جديتها وصلابتها ، كما آثارت بين الأوروبيين ذكريات الحضارة الإغريقية وأمجادها العريقة . ووجدت من شعوب أوروبا وشعاراتها ، وعلى رأسهم لورد بايون Byron الانجليزى (V) وشلر وفكتور هيغو الفرنسى كل تعاطف ومساندة . وردت تركيا على تلك الحركة بإبادة الآلاف من رجال الجالية اليونانية فى اسطنبول . ولم يكن لذلك من أثر سوى اذكاء لهيب الثورة اليونانية وانتشارها خاصة فى بلاد المورة ( جنوب اليونان ) بعد جزر بحر إيجه وكريت . وأكد اليونان اصرارهم على نوال الحرية والاستقلال بإبادة الحاميات العثمانية المنبثة فى أنحاء بلادهم . واتخذوا لهم شعارا . . . « لابقاء لتركى فى اليونان » . ومن ثم أوقعوا القتل بعشرين ألفا من الترك المقيمين فى أنحاء البلاد . ولم ينبج من بقى من الترك إلا عن طريق الاحتماء بالحاميات فى الحصون التركية . ولكن تلك الحاميات حوصرت واضطر معظمها إلى التسليم إن صلحا أو عنوة . وقرب تريبولتزا أمكن لقوة يونانية قوامها ثلاثة آلاف هزيمة فرقة تركية تعدادها نحو خمسة آلاف . وترتب على ذلك تسليم ذلك الموقع بل وأيضا تسليم ميناء نافارينو . وفى كلا الموقعين لم يتورع ثوار اليونان عن خرق كل قاعدة ومن ذلك أنهم قتلوا نحو من ثمانية آلاف بين تركى ويهودى فى تريبولتزا .

ومع خلال ثلاثة أشهر سقطت كل المدن جنوب الخليج التي تقع عليه آتينا في يد الثوار هذا اذا استثنينا بعض القلاع الحصينة .

وفي ١٣ يناير ١٨٢٢ أعلن عن أول محاولة . لتكوين حكومة وطنية من الثوار لكل بلاد الاغريق . الا ان حكومة السلطنة العثمانية قابلت انتصارات الثوار وأعمالهم الطائشة بأعمال أكثر طيشا كما أشرنا لذلك وأصبح من المعروف انه قتل يوناني واحد على الأقل في مقابل كل تركي أوقع به الثوار . ولكن الثورة لم تتوقف بل امتدت الى الجزر اليونانية . ورجالها أهل بحر وصيد . مسلحوا سفنهم وأخذوا يهاجمون السفن التركية ويقتلون رجالها وينهبون ما بها أو يسنولون عليها وما الى ذلك من أعمال الفرصنة . حتى دب الهلع في قلوب البحارة الترك . ومع ان السلطان كان بمقدوره ان يأخذ نفسا مقابل كل تركي يقتل في بلاد اليونان وفي جزرها . الا انه عجز عن استرداد ولايته ، التي سلبت منه بمثل تلك السهولة .

أما محمد علي فقد قابل أنباء تلك الاضطرابات دون انفعال . وبالاسلوب الذي رأى انه يتفق مع مصلحته ومع مصلحة مصر . ولم يتعرض لسلامة أي يوناني يقيم في مصر ويساهم في خدمتها أو في نهضتها . وذلك برغم ما أحيط به علما بشأن النشاط الذي لبعض الجمعيات اليونانية في القاهرة والاسكندرية . ولم يحاول منع أي منهم من الابحار لوطنه والالتصام الى نوار بلاده . بل انه أطلق في ذلك الحين ، سراح بعض اليونان الأسرى الذين أرسلهم اليه داي الجزائر .

## محمد علي واخضاع ثورة كريت :

ضماقت الأمور بالسلطان العثماني فولى وجهه عام ١٨٢٢  
بنظر مصر ومحمد علي . استنجد به لاخضاع ثورة كريت ، وفي  
المقابل عرض عليه ولايتها بعد اخضاعها . انها صفقة لا بأس بها  
في نظر محمد علي ولذا استجاب لعرض السلطان . وأرسل حسين  
باشا زوج ابنته نمابة عنه لادارتها بعد اخماد ثورتها . ولما توفي  
زوج ابنته أرسل حسين بك وهو أحد قاداته لانعام العمل الذي  
عرض عليه وهو اخضاع ثوار كريت . وبرغم صلابة ثوار كريت  
ومناعة بلادهم الطبيعية استطاع الجيش المصري اخضاعهم . وسقط  
أقوى معاقلهم هي سفاكيا Sphakia ، في يده في عام ١٨٢٤ .  
ومما يؤكد جدارة الفرق العسكرية التي أرسلها محمد علي من مصر  
ان حسين بك استطاع بهم اخضاع ثوار جزيرة كاسوس Kassos  
وسكارينتو Scarpanto وهما على درجة عالية من المناعة . وقد  
سقطت الأولى بعد قتال عنيف وأبيحت للجنود المنتصرة خلال الـ  
٢٤ ساعة التالية لسقوطها . أما سكارينتو فأثرت التسليم صلحا .  
على أساس دفع جزية الثلاث سنين الأخيرة التي بخافت عن  
سدادها للمباب العالي .

ومن خلال الأحداث السابقة يتضح لنا أسلوب محمد علي .  
فالنوار يجب كبسج جماهم واخماد ثورتهم ، ولكنهم اذا جنحوا  
للمسلم فانه لا ييطن لهم ثارا أو حقدا ولا يمانع في اعطائهم شروطا  
مناسبة تتفق مع مصالحته . وهكذا نراه يستخدم الشدة في مواقعها  
أو حيث تضطره الظروف لذلك . ولا يمانع في استخدام اللين  
حينما أوصله ذلك الى تحقيق أهدافه . وفي جميع الحالات يسعى  
لإثبات ما لديه من امكانيات وفرتها له مصر .

ان زبناح محمد علي في اخضاع نورة كريت وبعض الجزر اليونانية الصغيرة ، لفت نظر سلطان تركيا لمدي قدرات هذا الوالي ولندي ما لمصر من امكانيات يستطيع الافادة منها أو استهلاكها في سبيل الحصول على ما يهدف اليه ، من القضاء على الثورات التي ظهرت في أنحاء امبراطوريته .

ذلك هو موقف السلطان العثماني ، فما هو موقف محمد علي ، وما هو الفكر أو الايدلوجية التي حددت له أهدافه وأسلوبه وصبرته .

لقد طلب منه السلطان اخضاع ثوار كريت وقد نجح في ذلك ، فكيف يكون موقفه اذا طلب منه مزيدا من الجهد ومزيدا من العون والتضحية ، من أجل كيان الدولة العثمانية .

ان التعرق في دراسة شخصية محمد علي ، قد يكشف لنا عن واقع ، من حيث انه رجل مصلح ، يميل بفطرته الى الارتفاع والرقى بكل ما تمسكه يده . وذلك واضح من خلال نصائحه الأبوية ، التي قدمها كثيرا لمعاونيه ، لأجل صالح البلاد والشعب ، ومن خلال الكيفية التي كان يواجه بها مشاكل البلاد ، ولكنه أيضا رجل من النوع الذي يبحث دائما عن الكسب ، أو العائد الذي يمكن ان يعود عليه ، أو يحق له الحصول عليه من كل اصلاح يقوم به ، أو تقدم يسمى اليه . فمن المؤكد انه سعى جاهدا الى تنمية امكانات مصر خاصة ، ومنطقة الشرق الاوسط عامة فيما بعد ، وذلك وفقا لطبيعته الدفينة التي سيطرت عليها ، برعة الاصلاح والرقى . ولكن يجب الا نفعل الجانب الآخر من شخصيته . معقول انه فعل ذلك أيضا لكي يتحقق له المزيد من القوة والقدرة ، ومن هنا كان سعيه الدائب لتحويل مصر والشرق قاطبة فيما بعد .

الى حفل عظيم الانتساج . ومن اجل ذلك حاول تخليص مصر والشرق ، من ذلك الجمود الذي طبعهما به الحكم العثماني ، وأدى بهذا الى التخلف والتداعى . وفى سبيل وضع هذا الفكر المتقدم موضع التنفيذ ، بحث ونقب عن الامكانيات والقدرات والثروات الكامنة فى هذه المنطقة . ومن هنا كان محمد على على استعداد للعمل فى أى ميدان جديد ، يمكنه من النهوض بمصر واستعراض قوته المستمدة منها . بشرط ان يؤدي هذا وذاك الى تأكيد بقائه وأسراره من بعده فيها . ولا مانع من ان يكون ذلك الميدان الجديد هو أفريقيا . . . . أو آسيا . . . . أو أوروبا . . . . أو حتى - كما سيحدث فيما بعد - فى داخل جسم الامبراطورية العثمانية وبنياتها . وفى مواجهتها .

#### الدولة العثمانية تستنجد بمصر :

بناء على تلك الملاحظات ، رأى السلطان محمود الثانى (A) ، أن يعهد الى محمد على ، بمهمة القضاء على الثورة التى شبت فى جنوب بلاد اليونان .

فما هو موقف محمد على من ذلك التكليف السلطاني . . . ؟ هل فيل القيام بتلك المهمة خشية غضب السلطان عليه فقط ؟ ! وألم يكن لديه احساس ، وهو الرجل الحصيف ، أن من بين أهداف ذلك السلطان ، هدف متوارث ، ألا وهو استنزاف خبرات مصر واستهلاك طاقتها حاكمها !

الواقع انه كان لدى محمد على ذلك « النظام الجديد » الذى وضعه للجيش والذي أتى بنموار واضحة خلال الحرب فى كريت . فمن الممكن الآن استخدام هذا النظام الجديد على نطاق أوسع



لاخبار مدى قدرته على قسالة قوة اكبر . ولكني سببت للجميع وخاصة للباب العالي مدى تفوقه الحربى ، وفى ذات الوقت يحصل على باشوية او حكم ولاية المورة وهى الجزء الجنوبى من بلاد اليونان ، ان لم تكن اليونان باكملها . ويفيد من نشاط اليونان ومقدرتهم البحرية العظمى لصالح مصر واسطولها الناشئ . ويمس بذلك نفوذ مصر ونفوذه على القطاع الجنوبى من اوربا . وبالتالى يسيطر باسم مصر على جانب كبير من الحركة التجارية فى البحر المتوسط وخاصة القطاع الشرقى منه .

هذه اذن هى وجهة نظر مصر محمد على التى اتصفت بالواقعية وهى تبدو لنا من خلال احاديث فادة مصر ومن ثانيا حوارات مستشاريها مع قناصل الدول الاوربية . ومن ذلك ان الفرنسى لاورن Launay ، ذكر انه فى حديث له مع الكولونيل سيف ( الذى عرف باسم سليمان باشا الفرنساوى ومن أحفاده كانت الملكة نازلى والدة الملك السابق فاروق ) فى اواخر عام ١٨٢٥ . بشأن أهداف محمد على من وراء اشتراكه فى اخضاع ثورة اليونان ، فهم منه ان مصر لا تستطيع تجاهل خبرة البحارة اليونان ومقدرتهم البحرية . فمصر دولة زراعية يرجع تحلقها الى اقتصادها على بيع منتجاتها ، دون تصنيع ، للوكلاء والعلاء الاوربيين . أما وقد نهضت الآن وأنشئ بها العديد من مصانع النسيج للقطن والتيل ، فقلد أصبحت فى حاجة لتوفير وسائل نقل ومنتجاتها المصنعة ، الى أنحاء العالم المختلفة . وذلك لا يمكن ان يتحقق الا بعد الاستعانة بمراكب اليونان . وأنصار الكولونيل سيف الى مدى استعداد محمد على - بسبب قدرته لقيادة اليونان - لتوقيع هدنة معهم . والسماح لمن يرغب من سبيهم للهجرة الى مصر مع عائلاتهم للاقامة فيها . على ان يمدون ذلك فى الوقت المناسب وعندما تتوفر الظروف الملائمة التى يمكن استغلالها .

ويممنا يتعدي بموقف محمد علي « المحاصر » من الثورة  
الهيدنية ، التي أخذت طابعا جديدا وعنيفا . ذكر الكولونيل سيف  
أنه - أي محمد علي - اشترط على الباب العالي بل وأصر على « نفسه »  
أن يأخذ إبراهيم وضعاً رسمياً معترفاً به داخل الدولة العثمانية  
كمحاكم عام للدولة . ولم يقصد بذلك السكريم أو المظهرية بل قصد  
تسليم إبراهيم السلطة الفعلية والأدوات أو الوسائل الضرورية  
التي نتيح له تنفيذ المهمة المطلوبة منه ، وتسهيل الفهم بها . إلا  
رغم إخضاع تلك الثورة . وأشار الكولونيل سيف إلى أن اليونان  
والدرك متشابهين من حيث المستوى الثقافي ومستوى الذكاء .  
وأن الأصول الدينية أو الاختلافات الطائفية بينهما ليست موضع  
اعتبار . وهي ساء عادي في معظم دول أوروبا ، فملك فرنسا يحكم  
شعباً مختلطاً من الكاثوليك والبروتستانت .

هذه إذن هي نوايا محمد علي الحقيقية وأهدافه الواقعية .  
وهذا هو عين ما اتخذته بعض ملوك مصر الأقدمين ، عندما سجدوا  
كثيراً من اليونان على الإقامة في مصر حتى يكونوا عاملاً من عوامل  
تنشيط الحركة التجارية والنقل البحري ، مما سيجني مصر ثماره .  
ونظراً لما تتمتع به مصر من خاصية قوية وفسفرة عجيبة على  
امتصاص كل جديد ، لم يكن هناك ولن يكون أي خطر يهدد كتلة  
الشعب المصري من جراء نطعمه بفريق من اليونانيين المهرة في  
شئون التجارة وشئون البحر .

فإذن لم يكن مما دار في خلد محمد علي في يوم من الأيام  
- كما أشيع - أن يببذ اليونان المسيحيين في بلادهم وأن يحل  
محلهم شعوباً إسلامية ليكون أماراً إسلامية هناك . . . . . وما كان  
من الممكن أن يخاطر محمد علي بصفوة رجاله ، لتحقيق هدف كهذا  
يصعب التكهّن بنتائجه وعواقبه .

ومما يؤكد ان محمد علي كان يضع أمام عينيه عندما قبل التدخل في مشكلة اليونان مصلحة مصر . انه عندما طلب الباب العالي منه في سنة ١٨٢٣ ، إرسال حملة بقيادة ابراهيم باشا ضد الفرس الذين هاجموا تركيا مرات عديدة من الخلف ، أجاب بالرفض بكل حسم . لأن تلك المهمة تقع بعيدا عن المنطقة التي -سمر نشاطه فيها . . . أي منطقة الشرق الأوسط ، وتقع بعيدا أيضا عن أهدافه . . . ألا وهي تحقيق التكامل والتعاون بين مصر وبلاد تلك المنطقة .

ويمكن القول بأنه كان مما جال في فكر محمد علي مجاراة الاتجاهات العامة في عصره ، والتي برزت بشكل واضح بعد هزيمة نابليون والفشل الظاهري للثورة الفرنسية وعودة أسرة البوربون لفرنسا . . . . . تلك الاتجاهات التي كانت ترى في اخضاع الشائرين حينها وجدوا ، ما يرفع اسم المنتصر - باسم الشرعية - بين شعوب العالم عامة والشرق خاصة . وفي رأى المؤرخ البريطانى دودويل ، فإن اخضاع محمد علي للثوار اليونان يجعل منه بطلا في عصره . وبسموح له اذا شاء بالاعتراض على أوامر الباب العالي . وأيضا . كما تصحور ، سيمنحه احترام إحدى القوى الأوروبية الكبرى - انجلترا - وربما إمكانية التفاهم . . . . . أو التحالف معها .

ولكن هل كان محمد علي مستعدا للاشتراك في حرب كهذه ، قد تفجرت عنها عواقب خطيرة لوجه الله . . . ودون قيد ولا شرط . . . كلا . . . فهو ليس على هذا القدر من البساطة أو السذاجة . بل انه يسعى ليكفل لنفسه ولاشتراكه وسائل النجاح ولتحقق أفضل النتائج . ويصف لنا الأميرال الفرنسى « ديران فييل » في كتابه « الحملات البحرية لمحمد علي وابراهيم » ، وفي فصل خاص عن المفاوضات التي جرت بين محمد علي والباب العالي في مارس ١٨٢٤ ،

الجيوش المختلفة التي دخلها محمد علي مع رجال الدولة العثمانية  
ومندوبيها ، وأسماؤه في التعامل معهم . فيتميز ذلك المؤلف  
المعاصر ، الى مبلغ حذوة محمد علي بمندوب السلطان الذي جاء الى  
مصر ليسلمه فرمان السلاية على جنوب بلاد اليونان « المورة »  
لاخضاع ثورتها . وكان المعتقد ان محمد علي ، التابع الأمين المخلص  
للسلطان ، لن يتأخر لحظة واحدة عن تلبية أوامر السلطان ،  
وتقديم جميع رجاله وقواته بل وشخصه أيضا فداء طاعنه . . . .  
وانه ما كان ليطالب أكثر من ان يسمح له بمنازلة أعدائه « فيقضى  
عليهم مائة ألف يوم » . ولكن هل كان محمد علي مستعدا حقا  
للبذل دون قيد ولا شرط . . . أم كان لديه مدى معين لا يتحرك  
الا في نطاقه . . . هذا ما لم يكن في علم أحد سواء وما لم يستطع  
سبر غوره آنذاك من رجاله الا قلة قليلة .

الأمر الذي لا شك فيه ان ذلك فرمان كان بمثابة توسيع  
نطاق مصر وبسط نفوذها فيما وراء البحار ، وبالتالي كان فيه  
روح لشان محمد علي باشا . فاستنجد الدولة العثمانية صاحبة  
الامبراطورية العظيمة في الشرق والغرب به وبجيوشه المصرية كلما  
فصرت يدها وعجزت عن مقاومة الثورات سواء في الحجاز أو في  
كريت وأخيرا في اليونان ذاتها ، كان قطعاً مما يزيد فخرا  
وسيادة ، ومما يوطد مكانته في مصر مصدر قوته . وفي ذات الوقت  
فانه لم يكن هناك من سبيل لعدم تلبية الدعوة . فاذا رفض  
ما عرضه عليه السلطان من التكريم والتكليف ، فان رفضه يكون  
سجّة عليه في يد الساعين لخلعه عن ولايته وإظهاره بمظهر الخارج  
عن ارادة السلطان . وهو لم يكن قد توصل بعد الى تحديد مركز  
مصر السياسي حيال تركيا . فلم يكن رغم أفضاله على الدولة  
العثمانية أكثر من وال عينه السلطان وللسلطان رسميا ان يعزله .

وازن محمد علي بين الاعتبارات المختلفة واستشار أعضاء  
أسرته وبعض العلماء وأعضاء حكومته ومنهم بوغوص بك الذي  
هناك بهذا الشرف الكبير عندما أعلنه وأعضاء ديوان القضاة  
بمضمون الفرمان وقال له « انه لمجد كبير ان يضع الباب العالي تاج  
بلاد اليونان على رأسكم فأنتم خليفة بونابرت في أفريقيا » .

حاول مندوب السلطان أن يفهم محمد علي ، أن العملية لن  
تعد قيام إبراهيم باشا على رأس قوة مصرية بنزعة بحرية الى حيد  
ولابنه الجديدة !! . ولكن هل كان يمكن لتلك الخدعة ان يجرى  
على محمد علي . فاقليم المورة في جنوب اليونان اقليم ثائر فائز  
جباله قاسية ومرتفعاته منيعة وشعبه مستعيت . وهو . . . ابن  
قوله . . . على دراية بالكثير من صفات تلك البلاد . ولذلك . . .  
كان « ما رآه محمد علي ان يطالب بالمقابل . ولا نقول يشترط .  
ولكن يطلب في لباقة يفهمها الدبلوماسيون ببعض تعويضات .  
مكافآت ، نظير ما سيقدمه من جهد من أجل اخضاع تلك الثورة .  
من ذلك على سبيل المثال ان تمنح باشوية دمشق أو عكا . ولكن  
برغم أهمية سوريا بالنسبة لمحمد علي حيث انها دخلت ضمن  
مخططة الوجودى للشرق الأوسط بالاضافة لما كانت تحويه من  
أصدقاء مخلصين وأوفياء له . عبد الله في جبل الدروز . وبشير  
النسحابي في جبل لبنان . . . الا أن نجيب أفندي مندوب السلطان  
لم يشر اليها ولم يعط باشويتها وعدا له .

وهكذا تأكد في استانبول - بعد تلك المقابلة التي تمت في  
مارس ١٨٢٤ - ان محاولة التمويه على محمد علي بالمبالغة من شأن  
باشوية المورة لم تجز علمه . وانه قد يعدل عن عدم قدرته على  
السام بها وبصرف النظر عن امكانية عزله أو نفيه فان السلطان  
لن يجد له بديلا يستطع انقاذه .

وفى ذات الوقت كان ابراهيم من الجهة الاخرى غير راعى  
فى ترك مصر وأظهر صراحة عدم قبوله للابتناد عنها نهائيا فلا يمكن  
لولاية كالمورة يسودها التمرد والعصيان ان تاهيه عن مصر حيث  
الهدوء والنظام المستتب وحيث بدت بوادر الانتعاش والتطور  
الاقتصادى والمستقبل الباسم \*

ان الفرار الذى حمله نجيب أفندى الى مصر ، لا يعطى  
لابراهيم الا سلطة اضناغ بررة شبه جبررة المردة وجريوتى سبزيا  
وهيدرا . أما بالنسبة لبلاد اليونان عامة ، فلم يعهد اليه الا بحق  
مباشرة التعبئة العامة للجنود والموارد ، مما يلزم لتعزيز الجيش  
القاتل فى اقليم بريفزا Preveza شمال غرب اليونان .

ان ما فهمه محمد على ، بعد استقباله لنجيب أفندى مسدود  
السلطان ، عن الاتجاهات العثمانية والنوايا الظاهرة والمستترة كان  
مخيبا لآماله . وبلغ به الحق وعدم الرضا مبلغا كبيرا فان  
ما كان يتوقعه هو ان يعهد السلطان أو يتكفل باعداده بكل أدوات  
القتال والمؤن . وقبل هذا وأهم منه ان يسلمه جميع السلطات  
اللازمة التى تمكنه من اتمام العمليات الحربية بنجاح .

ولكن السلطان أعطى القبطان باشا التركى القيادة العليا  
البحرية والبرية فى بلاد اليونان وبذا يصبح الاسطول المصرى الذى  
سيشارك فى العمليات تابعا للاسطول التركى ولقيادته ، كما كان  
الحال فى الماضى . رغم المستوى الذى وصل اليه الاسطول المصرى ،  
سواء بفضل تعزيزه أو بفضل الانتصارات التى حققها وأثبت بها  
جدارته .

ان القاب التشريف والتفخيم الجوفاء التى أعدهتها الحكومة  
العثمانية على محمد على وابنه ابراهيم ، عجزت عن تخفيف وقع

الحقيقة المؤلمة التي اكتشفناها ، وهي ان الزعامة والقيادة العظمى .  
فى هذا الميدان الجديد ، لم تكفل لهما بنفسى المستوى الذى كلفا  
به فى مصر ٠٠٠ وبلاد العرب ٠٠٠ وجزيرة كريت .

وقد بدا كان الخلاف سيدب بين محمد على والباب العالي  
فبن قيام الحملة . وكتب محمد على فى ١٦ ابريل ١٨٢٤ الى  
قاضى الجيش صديق افندى يقول : « ان هناك مالا بلديا شائعا  
يقول ان الوتد المنحعب لا يستطيع ان يسبق الارض ٠٠٠ واننا لم  
نطلب سوى ولاية جده فاذا بهم يضيغون لابنى ولاية الثورة ومبطلان  
باشا الى نهاية الحرب . ومعنى هذا انه عندما تنتهى الحرب وتترد  
الاساطيل الى مراكزها السابقة . سحبر على ابراهيم الانسحاب  
لبجنى ثمار جده وتضحياتنا اميرال احمر . وقد نوابت مى  
الاحابة على الباب العالي ازاء هذا العرض . وذهبت للاسكندرية  
وعندما جاءنى خطاب رسمى يقضى بتولية ابنى ابراهيم على الثورة -  
واليا ، وقائدا للاسطول المصرى ٠٠٠ ان التكليف اقتصر فقط على  
ولاية حكم شبه جزيرة الثورة وجزيرتى هيدرا وسباربا ٠٠٠ ونكتبه  
لم يكلف بالقيادة العليا للقوات المعاربة . الامر الذى يجعلنى غير  
راغب فى القيام بهذه العملية فاننا لا نرغب فى تولية القيادة العليا  
لنا فى ذلك المنصب ٠٠٠ بل لأن الحكمة تقتضى ذلك ، نجنب  
لاى سرور يمكن ان يقوم به بعض رجال الحملة الترك مما قد يؤثر  
على موقفنا ككل أمام الشائرين » .

ويوضح من هذه الرسالة مدى نمسك محمد على بالحصول على  
الامكانيات التى تشيخ للجيش المصرى الانتصار وتجنبه مغبة  
الفشل . الذى اصبح من الصفات الواضحة للفرق التركية .

وعلى كل فقد استقر الرأي في النهاية على حل وسط . . . .  
يعطى ابراهيم باشا تابعا للقبطان باشا التركي على أن يستقل  
بالقيادة الكاملة للأسطول المصري ، الذي يتكون من وحدة قائمه  
بذاتها بعد أن أضيفت اليه بعض القطع من الاسطول العثماني .  
ان هذا الاتفاق أرضى اعتداد الامبراطوريه العثمانية . وبناء عليه  
أعلن محمد علي في ١٠ يونيو عام ١٨٢٤ موافقته على تعيين ابيه  
ابراهيم باشا واليا وساكما للجزء الجنوبي من بلاد اليونان أي  
لشبه جزيرة المورة .





## الفصل الرابع

---

### قوة مصر العسكرية



## قوة مصر العسكرية

لعله من المناسب ، قبل ان نتعرض للدور الذى قام به جيش مصر الوطنى وبحريته فى اليونان ، وقبل أن نستعرض الكثير من الانتصارات التى حصلت عليها خلال العمليات التى قاما بها ضد الثوار . ومن أجل السيطرة على البلاد ، أن نتتبع مراحل تكوينهما فى عهد محمد على خاصة لما اتصفوا به من حداثة فى النشأة وجدة فى التكوين أشبه ما تكون ظهورا من العدم .

ولقد بدأت المحاولة الأولى لتكوين جيش وطنى فى عهد محمد على وفقا « للنظام الجديد » فى ظروفه قاسية . إذ اعترض الألبانيون وقادتهم ، الذين ألفوا الفوضى والتمرد ، على تلك المحاولة بشدة عندما شرع فى تنفيذها فى عام ١٨١٥ . والأكثر من ذلك أن فريقا من جماعة العلماء انضموا للألبانيين فى الاعتراض على هذه المحاولة مستندين فى ذلك الى الحديث الشريف « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » . ووصلت المقاومة الى حد تدبير المؤامرات على حياة محمد على . وقد أشعار الجبرتى الى ذلك

خلال أحداث شهر شعبان ١٢٣٠ هـ ( ٩ يوليو - ٦ أغسطس ١٨١٢ ) • ولما كان عليه محمد علي من دهاء ومرونة فانه وجد من السلامة ان يعالج الموقف بالصبر والحكمة • فلم يكن لديه هي البلاد من الجند ، غير الألبانيين وكان لزاما عليه ان يصطنع الحذر ، فلو كان لديهم أقل فكرة عما يبيت له من النوايا ما كانت حياته عندهم تساوى شيئا يذكر • ومن ثم فانه فرق الجند في أنحاء متباعدة من مصر ، الى أن تزايد مركزه رسوخا واستطاع أحكام سيطرته على أمور البلاد وسكانها • وعندئذ بدأ محاولته الثانية في عام ١٨١٩ فأرسل عددا من السودانيين الى أعالي الصعيد في بلدة فرشوط التابعة لمحافظة قنا حاليا • وذلك لتدريبهم تحت اشراف ضابط اسمه ابراهيم أغا ، وهو أحد العصاة الأتراك الهاربين من الأستانة واللاجئين لمصر • وسرعان ما ظهر للعيان أنه لا نجاح لتدريب الجند أيا كانت نوعيتهم أو مواطنهم ، دون الاستعانة بمجموعة صالحة من الضباط • ولم يحاول محمد علي استخدام ضباط يكل اليهم هذه المهمة من تركيا ، حتى لا يستلقت نظر سلطاتها ، ويشير الشبهات حول نفسه وأهدافه • بل فضل الاتجاه الى أوروبا وعلى وجه الخصوص فرنسا ، حيث كان بها الكثير من ضباط نابليون الأكفاء الذين أحيلوا للتقاعد بعد انتهاء امبراطوريته وعودة الملكية ، وأصبحوا في أشد الحاجة للعمل في الخارج سعيا وراء الرزق وهربا مما قد يتعرضون له من أذى اذا بقوا في بلادهم وهي تحت سيادة ملكية البوربون • كما رأى محمد علي أن يستعين أيضا بضباط من الايطاليين والاسبان والبرتغاليين ممن قبل المجيء لمصر بدافع المغامرة أو الارتزاق •

## النظام الجديد والكولونيل سيف :

كان جوزيف انثيلم سيف Joseph Anthelme Seve ١٧٨٨ - ١٨٦٠ ، الذى اشتهر باسم الكولونيل سيف أو سليمان باشا الفرنساوى ، أفضل من جاء الى مصر من هؤلاء المعلمين أو المدربين . ومن المناسب ان تعرض لحياته خلال حديثنا عن الدور الذى قام به فى انشاء الجيش المصرى وفقا للنظام الجديد . فهو أصلا من مدينة ليون بفرنسا ، عمل فى سلاح المدفعية بالاسطول الفرنسى واشترك فى معركة الطرف الاغر فى ٢١ أكتوبر ١٨٠٥ ، ثم انضم للجيش الفرنسى الذى عمل فى ايطاليا عام ١٨٠٧ . واشترك فى حرب نابليون مع النمسا عام ١٨٠٩ ووقع فى الأسر خلال إحدى المعارك ، ثم أفرج عنه وعاد الى فرنسا عام ١٨١١ . ومع ذلك انضم لحملة نابليون الى روسيا عام ١٨١٢ ، وكان محظوظا خلال الارتداد ، فلم يفتك به برد روسيا القارس ، وتغلف فى ألمانيا حيث أصيب بجراح فى إحدى المعارك بها فى فبراير ١٨١٣ ، ثم اشترك فى معارك ١٨١٤ ضد التحالف الأوروبى الذى تكون من دول أوروبا بغرض القضاء على نابليون ، ومنح وسام فرقة الشرف . وبعد معركة ووترلو Watterloo التى هزم فيها نابليون نهائيا ، سرح من الجيش وذلك فى أكتوبر عام ١٨١٥ . وقد ضاق صدره اذ أصبح عاطلا عن العمل ، برغم امتيازه وارتقائه الى مرتبة ضابط ياوران المارشال ناى ، أحد كبار القادة فى عهد نابليون . وقد دفعه سوء حاله للسفر الى ايطاليا كمندوب مبيعات لأحد بيوت التجارة الفرنسية . ولما علم بحاجة مصر الى خبرة فرنسية يستعين بها واليها فى تكوين الجيش الجديد ، سافر الى مصر وقدمه مدير مصانع الذخيرة والطرق والكبارى فى مصر وهو فرنسى أيضا الى محمد على . فكلفه هذا أولا بالبحث عن الفحم الحجري فى الصعيد

والنوبة وجبال البحر الأحمر . ومع أنه لم يوفق في بحره إلا أنه استطاع خلال الفترة التي أمضاها مع أبناء مصر في التنقيب بالوجه القبلي وعلى شاطئ البحر الأحمر ، أن يتفاهم عادات أهل البلاد وأن يتأقلم معهم ومع عاداتهم فارتدى لباسهم وتعلم العربية وكسب صداقتهم . وسرعان ما اكتشف محمد علي مواهبه وما لديه من خبرات عسكرية عديدة . فكلفه يشغل منصب « المعلم الرسمي » للنظام الجديد . على أن يعاونه في ذلك مجموعة غير قليلة من الضباط الفرنسيين وغير الفرنسيين .

وفي عام ١٨٢٠ أنشئت مدرسة المشاة العسكرية تحت إشرافه ، واختير غالبية تلاميذها ، من بين أبناء المماليك ومن شباب أسرة محمد علي وبلغ عددهم نحو الأربعمئة . بدأوا تدريباتهم في منطقة القلعة على مرأى من الأهالي والعلماء الذين أثاروا الصعاب من جديد . فكيف يخضع هذا الشباب لرجل أجنبي . . . . . أو « رومي » على حد تعبيرهم . ولذا اقترح سيف في عام ١٨٢١ انتقال المدرسة إلى مكان بعيد أي إلى أقاصى الصعيد . اختيرت لذلك أسوان لبعدها عن القاهرة ولقربها من السودات . ذلك القطر الذي كان من المفروض أن يكون الممول الرئيسى لرجال لواء الجيش الجديد وجنوده .

ولم تكن عملية التدريب في أسوان بالمهمة اليسيرة فقد كان الاستهتار والاستخفاف بالأمور أمرا غالبا بين المدرسين وفي طباعهم . وقد أظهر سيف حذقا ومهارة من أجل ادخال الانضباط والانصياع للأوامر إلى طباعهم ، وغالبا ما كان ذلك يود ودمائة خلق مع الحزم الواضح مما فرض عليهم سلطانه . وبعد ذلك أحضر إلى خيمته بعض البنادق وأخذ يشرح شغلهم . شرح قوائدها وبيان ما استعمله الأوروبيون من قوة ، بفضل استخدامها استخداما دقيقا . ثم أخذ

يضع البنادق في أيديهم رويدا رويدا . ولكن مع اول بادرة خلاف بينه وبينهم استخدم بعضهم السلاح الجديد ضده ، وأطلق أحدهم النار عليه . وكانت هذه كما قيل اللحظة التي استطاع فيها سيف أن يسيطر عليهم سيطرة كاملة اذ تفادى الطلقة وأفحش في سب من غدر به ، لتجرده من النخوة والكفاية وانعدام ما لديه من أدب وأخلاص ازاء قائده . وكانوا يتوقعون ان ينتقم منهم انتقاما مريعا ، قد يصل الى حد الاعدام اذا بلغ الأمر للرؤساء أو لمحمد علي . غير انه أبى ذلك فقد حاولوا اغتياله ونار لنفسه بنفسه ووقف الأمر عند هذا الحد . وبهذا السلوك الذي اتصف بالشهامة والكرم وبأمثاله أحبوه وتعلقوا به واستجابوا لما نشره بينهم من أصول الانضباط في العسكرية .

هذا ما كان من أمر الكولونيل سيف مع أبناء المسالك وتدريبهم وما أسفر عنه من نجاح برغم ما كان فيه من مخاطر وعقبات ومشقة . وقد تجنب محمد علي تكليفه بتدريب الألبانيين على النظام الجديد لسابق علمه بتاريخهم الطويل في حركات التمرد والعصيان . بل انه كان في الواقع راغبا في التخلص من بقاياهم وقد حالفه الحظ اذ كسر من حدتهم تناقص أعدادهم بسبب ما فقه منهم خلال الحرب الوهابية والحرب في السودان . وما كاد بعضهم يعود الى مصر ممن نجا من مخاطر الحرب ، حتى سارع محمد علي بتسريح جانب منهم بحجج متباينة . فاضطروا للرحيل للخارج تحت حكم الظروف ، ومن بقي منهم قررت له مرتبسات واهية وجرّدوا من فرص الاستغلال .

وبينما تجنب محمد علي الاستعانة ببقايا الألبانيين في النظام الجديد ، نجد أنه تعذر عليه اختيار الجند من بدو الحجاز برغم ما رآه من شجاعتهم لأنهم رفضوا ترك بلادهم .



ومن ثم استقر الرأي على تجنيد السودانين . وهو المتفق عليه تاريخيا ان هذا كان من بين دوافع محمد علي لفرض سيطرته على السودان . ووضع تخطيطا تصل بمقتضاه اعداد من يجندوا من السودانين الى ثلاثين أو أربعين ألفا . وقد بدأ سبيل السودانين يتدفق فعلا على أسوان لتدريبهم على يد الضباط الذين سبق وأعدهم الكولونيل سيف وأنشئت لهم الشكاات ، وطعموا بالأمصال الواقية من الأوبئة على يد الأطباء ، وأقيم لهم مستشفى خاص للعناية بهم . ولكن كل هذا لم يحل دون الموت الذي أخذ يتخطف شبابهم بسرعة عجيبة ، فمرضهم الأكبر كان « الغربة Home sickness » بالإضافة الى عدم تحملهم للأجواء الباردة نسبيا في مصر .

وبناء على هذه الملابسات اتجه محمد علي الاتجاه الطبيعي الذي كان غائبا عن ذهن الكثيرين . . . . . الا وهو الاستعانة بالفلاحين المصريين والحاقهم بالجيش الجديد أو النظام الجديد . ومن الغريب أن الطبقة التي يمكن ان نطلق عليها تعبير « الارستقراطية التركية » والتي كانت موجودة في ذلك الحين بكثرة في المناصب القيادية ، حاولت الحيلولة دون المصريين وتجنيدهم . ومارست ضغوطها على محمد علي بحجة أن الجندية مهنة كريهة نبيلة فوق مستوى الفلاح المصري ، ولذا لا يجوز انخراطه في سلكها ، كما أثاروا الشكوك حول مدى اخلاص الفلاحين وما يحتمل من انقلابهم ، وهم أصحاب البلاد . ضد الترك العثمانيين « الغالبين » اذا وضع السلاح في أيديهم وذاقوا حلاوة استخدامه . ولكن محمد علي باشا لم يتحول عن موقفه . وأصر على الاستمرار في تجنيد المصريين . وكان مما شجعه على الاستمرار في خطته أن الفلاحين المصريين أثبتوا دون سواهم نجاحا بالغا ، وتأقلموا مع حياة الجندية كما تأقلموا سابقا مع حياة الزراعة . كما أن ما في أخلاق الفلاحين المصريين من وداعة وبساطة جعلهم آلات طبيعة سهلت احداث تغير ملحوظ في نظام

الجيش وانضباطه ، وأصبح المصري المجند يفاخر بأنه من رجال الجيش ومن جنود مصر .

وهكذا وفق الكولونيل سيف في عام ١٨٢٣ في تحقيق حلم محمد علي وحلم مصر . ونجح في تكوين ستة آليات من الجند المشاة ، غنابيتهم العظمى من الفلاحين . وذلك طبقا للأنظمة التي مارسها خلال العمليات الحربية التي اشترك فيها في عهد فرنسا نابليون ضد جيوش أوروبا ، وكذلك طبقا لما رآه محمد علي في مستهل حياته الحربية ، مما أقنعه بتفوق فنون الحرب الأوروبية على مثيلاتها في بلاد الشرق . فقلد حارب بنفسه ضد الجيش الفرنسي في مصر وانطبعت في ذهنه صورة رائعة عن قيمة العلوم الحربية ، وعن أهمية ادخال نظام عام في الجيش لحبته الطاعة وسداه احترام المرؤسين لرؤسائهم . ان تحويل أفراد من أقوام شاعت بينهم روح التسليم الى جماعة من الضباط والجنود الذين دربوا تدريبا منظما على الطاعة والنظام ، كان في حد ذاته اقارارا لمبدأ من مبادئ النظام الذي لم يشمل الجيش فقط بل شمل المجتمع والشعب بأكمله .

وازاء ما تحقق من نجاح ، توقفت المعارضة التي ووجه بها محمد علي في بداية تنفيذ المشروع الخاص بالجيش الجديد أو النظام الجديد « سواء أكانت تلك المعارضة من الترك والألبانيين أو من الشعب والعلماء . ونظرا لأن أسوان كانت بعيدة عن مركز الحكم في القاهرة ، كما انها كانت شديدة الحرارة بالإضافة الى أن أحد أسباب اختيارها وهو القرب من أماكن تزويدها بالرجال المنقولين من السودان ، أصبح غير ذي بال بسبب عدم تأقلمهم . ازاء هذه الظروف تقرر نقل مركز التدريب الى مكان أكثر قربا للعاصمة وجوه أكثر مناسبة . ومن هنا نقل المركز من أسوان الى اسنا . ثم الى الخميم ثم أبو تيج ثم الى بني عدي قرب منفوط بمحافظة أسيوط .

حاليا . وقد سافر محمد على الى تلك البلدة الأخيرة . ليتفقد الرجال ويحضر إحدى مناوراتهم العسكرية . ووضع الكولونيل سيف خطة لمناورة قولى ابراهيم ( باشا ) الاشراف على تنفيذها . وصحب محمد على فى تلك الزيارة دروفتى قنصل فرنسا وسولت قنصل انجلترا وسروا جميعا بما شاهدوه على الواقع . وعقب عودتهم كتب دروفتى الى وزير خارجية فرنسا فى فبراير عام ١٨٢٤ \* بأن هذا الجيش الكامل النظام والترتيب على النمط الفرنسى ، يتألف من فلاحين مصريين ومن سودانيين أما القادة فغالبيتهم من الترك والماليك وقد أبدوا جميعا فى المناورات مرتبة تستوجب الفخار لهم وللمضباط الفرنسيين الذين دربوهم .

وقد تسلمت الآليات الستة كل منها علمها الخاص ، وسافر الآلاى الأول الى سنار وكردفان فى يناير عام ١٨٢٤ . أما الآلاى الثانى فسار الى القصير للابحار منها الى جده ، وهو الطريق الذى كان متبعاً فى ذلك الحين وخاصة لدى الحجاج - ( وقد تم فى العهد الحاضر رصف الطريق من قنا لسفاجة وأيضاً من القصير الى السويس بطول الشاطئ المطل على البحر الأحمر وتم تجديد ميناء سفاجة ويجرى العمل فى تجديد ميناء القصير بهدف إعادة استخدام الخط البحرى من القصير وسفاجة الى جده ) - أما باقى الآليات من الثالث الى السادس فقد غادرت معسكر التدريب الى بلاد اليونان .

ولكى تزداد الصورة وضوحاً فى ذهن القارئ يحسن أن نشير الى أن جميع آليات الجيش المصرى نظمت وفقاً للنسق الفرنسى ، وجميع أفراد الآليات كانوا أصلاً من الفلاحين اذا استثنينا عدداً كان آخذاً فى النقصان ولم يتجاوز الألفين على وجه التقريب من السودانيين . والضباط كانوا من الترك أو أبناء الماليك . ويتكون

الآى المساء من أربعة طوابير ويتألف كل طابور من عشرة بلوكات  
يمكن أن تهبط الى ثمانية يضم كل منها مائة جندى . أى أن الآلى  
الواحد كان يشكون اذ ذاك من أربعة آلاف جندى عادة . ومن ثم فإن  
جملة الجيش المصرى الذى أعد وفقا « للنظام الجديد » يبلغ ١٢٤  
ألفا . والآليات الأربعة النظامية التى أرسلت الى اليونان بلغ  
تعدادها ١٦ ألفا .

أما الفئات غير النظامية وهى البقية الباقية من الفلول  
القديمة ، فبلغت بمن انضم اليها من العربان وغيرهم نحو عشرة  
آلاف جندى ، ضم الجانب الغالب منها الى الحملات والتجديدات التى  
أرسلت الى بلاد العرب والنوبة وكردفان وسنار .

وكان هناك من بين الأسلحة الهامة فى الجيش المصرى سلاح  
الفرسان . وبلغ تعداد فرسانه اذ ذاك نحو ثمانية آلاف . ومع أن  
غالبيتهم كانت من الترك والشراكسة الا أن الكثير من المصريين  
التحقوا بهذا السلاح . وتزايدت أعدادهم فيه مع الوقت حتى أن  
مستر بورنيج وهو مندوب بريطانى أرسل من قبل حكومته للتعرف  
على أحوال مصر تحت حكم محمد على ذكر ، عندما عرض فى تقريره  
الذى كتبه فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر لمدرسة الفرسان  
أنه ، كان بها كثير من المصريين الذين امتزجوا بالمماليك والإتراك  
وجرى اختيارهم من بين التلاميذ الذين يظهرون تفوقا فى المدارس  
الأولى حيث يرسلون الى المؤسسات الحربية مكافأة لهم على حسن  
سلوكهم وكفاءتهم . وأشار بورنيج الى أن مدير المدرسة اعترف له  
بأن أبناء الفلاحين لا يقلون عن الترك ذكاء ومهارة . أما الشراكسة  
وأهل جورجيا فالذكى منهم يمكن أن يصل الى مرتبة عالية فى  
الكفاءة والمهارة . أما الغبى فلا يكون له مثيل فى الغشابة  
والفشل (٩) .

وقد اتبع سلاح الفرسان تشكيلا خاصا به يجمع كل خمسمائة فارس منهم تحت قيادة أحد البكوات . وهو تشكيل أو نسق مقتبس من النظام المملوكى ومتأثر به . ومع أهمية هذا السلاح وما قدمه من خدمات الا أن الانضباط بالمعنى أو الأسلوب الحديث لم يكن سائدا بينهم بالقدر المناسب فى أوائل عهد محمد على .

جرت العادة أيضا بأن يحتفظ كل من العاملين فى الوظائف القيادية بالدولة ، بعدد من فرسان الممالك البيض يتزايد مع ارتفاع امكانياته وقدراته . وقد تجاوزت جملة تعداد هذه الفئة من الفرسان فى عام ١٨٢٥ الآلاف العشرة وفقا لرأى بعض الكتاب المعاصرين . وفى حالة الحرب كان ينضم الجانب الأكبر منهم للفرق المقاتلة . ومع كفاءتهم وفاعليتهم الا ان قدرتهم على العمل العسكرى الجماعى لم يبلغ الحد المطلوب ، بسبب تبعيتهم لفئات متباينة ولاختلاف مستوى تدريبهم وكفاءتهم مع ضعف ما بينهم من رابطة .

وغير سلاح المشاة والفرسان كان سلاح المدفعية من بين أعمدة الجيش المصرى . وقد تألف فى الأوائل من نحو ١٢٠٠ جندي معظمهم من العثمانيين ، أو من الشعوب التابعة لسيادتهم . واستخدموا مبدئيا مدافع حصلت عليها مصر أو اشتريت لحسابها من فرنسا وتركيا وأسبانيا .

### تصنيع السلاح والذخيرة :

حاول محمد على الاعتماد على مصر فى تزويد الجيش بالذخيرة والسلاح ، وخاصة البارود والبنادق والمدافع ، واستعان فى ذلك بخبرة بعض الأجانب ، خاصة من الفرنسيين . وكان النجاح واضحا

فيما يتعلق بالبارود اذ أعيد انشاء معمل البارود القديم الذي أسسه الكيميائيون من علماء الحملة الفرنسية في جزيرة الروضة • وأصبح يمثل مصدرا رئيسيا لتمويل الجيش المصري بالبارود • وبلغ انتاجه اليومى ما يقرب من الفى كيلو جرام • أما معامل البنادق والمدافع فلم يكن انتاجها كافيا فى الأوائل • ولذا واصلت مصر شراء حاجتها منهما من الخارج • وقد بذلت عناية خاصة فيما بعد بمصنع المدافع حتى بلغ عدد العمال المصريين المشتغلين به فى صبب المدافع نحو ١٥٠٠ عامل • وكان انتاجهم فى الشهر الواحد يتراوح بين ثلاثة أو أربعة مدافع عدا مدافع الهاون وسواها • أما مصانع البنادق والأسلحة ، فكان يعمل فى احدها نحو ٩٠٠ عامل • وبلغ انتاجهم فى الشهر الواحد ما يتراوح بين ٦٠٠ ، ٦٥٠ بندقية عدا السيوف والخراشيف والسرر والجمع • وفى مصنع آخر أنشئ لصناعة البنادق واصلاحها ، تحت اشراف ايطالى من جنوة عمل فيه نحو ١٢٠٠ من العمال المصريين ، وكان له انتاج لا بأس به ، وان تفاوتت زيادة ونقصا من شهر لآخر • وأمكن لهذين المصنعين بصفة عامة ومقرهما بولاق والحوش المرصود ، قرب السيدة زينب حاليا ، أن ينتجا كل شهر بصفة عامة ، وفى غير مشقة ما لا يقل عن ألف بندقية كحد أدنى ، متوسط تكلفة البندقية الواحدة نحو مائة وخمسة وعشرين قرشا فى ذلك الحين •

وقد اهتم محمد على اهتماما واضحا بتمصير كل شىء • وكان هو دائما وراء هذا الاتجاه من احلال المصرى مكان الأجنبى • ومن أدلة ذلك ان أحد المهندسين الميكانيكيين الانجليز كتب فى تقرير له عن الصناعة وحالة الطبقة العاملة فى مصر « ... ان أكثر ما يشكو منه الخبير الأوروبى العامل فى الحكومة المصرية ، انه يفصل من عمله يوم يستطيع المصرى القيام بعمله • وهذا هو السر فى ان الأهالى لا يتقدمون كثيرا فى الصناعة لأن الأوروبى يدرك

تماما إنه سيفصل من وظيفته في اللحظة التي يقف فيها الفلاح  
المصرى ولو على جانب من أسرار العمل الذى يزاوله . ولهذا يبذل  
الأوربى قصارى جهده حتى يظل المصرى قليل الحظ ، من معرفة  
أسرار الصناعة التى يزاولها .

لم تكن القوات التى تم تدريبها على النظام الجديد ، ونقص  
بها الآلايات الستة السابقة الذكر ، كافية فى نظر محمد على فقد  
تم توزيعها خارج مصر حيث فرضت الظروف ذلك . وأصبحت مصر  
شبه خالية من جيش نظامى يدافع عنها اذا دعت الظروف . هذا  
الى أن فقد جانب من الجند الذى أرسل للخارج كان أمرا واردا  
بطبيعة الحال خلال القيام باخماد الثورات التى شبت فى معظم  
أركان الدولة العثمانية وطلب من مصر اخمادها ، أو خلال ما كان  
متوقعا من اشتباك أشد خطورة مع الدول الأوربية أو مع الباب  
العالى نفسه . ثم ان النجاح فى تدريب الآلايات الستة الأولى ،  
وما حققه الجنود المصريون من استجابة لمبادئ النظام والانضباط ،  
دعا محمد على الى انشاء ثلاثة آلايات جديدة على غرار الآلايات الستة  
السابقة . ونظرا لتغيب الكولونيل سيف بالخارج كلف مهندسا  
إيطاليا من نابلى بتدريبهم . فشرع فى ذلك فى معسكر بنى عدى  
حيث حشد العدد اللازم من الفلاحين المصريين . ثم نقل المعسكر  
الى « أثر النبى » جنوب مصر القديمة ثم الى القبة . غير أن قرب  
المعسكر الأخير من أماكن التسلية بالقاهرة ، وما عرف عن تحفظ  
القاهرة وعدم تقبل العاصمة لكل جديد فى الجيش ، جعل محمد  
على يأمر بنقل المعسكر الى مكان بين الخانقاه « الخانكة الحالية »  
وأبو زعبل عرف باسم جهاد اباد . وفى معسكر جهاد اباد أكملت  
الآلايات الثلاثة السابع والثامن والتاسع تدريبها فى أغسطس  
١٨٢٥ .

## الفلاح المصرى والجندية :

قيل الكثير عن الفلاح المصرى ، وعن مقاومته خاصسة فى  
الأوائل لمحاولة محمد على انتزاعه من الأرض وإشراكه فى العسكرية .  
ولكن اذا ناقشنا هذه المقولة فى ضوء ملامسات العصر نجد أن  
الهدف من إشراكه فى العسكرية لم يكن واضحا فى ذهنه ولذا فلم  
يكن من السهل عليه تقبلها . محمد على كان يريد انتصارات مصرية  
يرفع بها شأنه وشأن مصر التى يتولى أمرها . وما لا شك فيه ،  
كما يرى شفيق غربال أستاذ الجيل فى التاريخ ، أنه حاول يوما  
ما إيجاد رابطة تجمع بين شعوب الشرق الأوسط التى تتكلم العربية  
يمكن اعتبارها بمثابة رابطة وطنية قائمة على أحياء الروح القومية  
بين الشعوب العربية فى مواجهة السيادة العثمانية التركية . أما  
الفلاح المصرى الذى لم يغادر قريته ، ربما منذ ولد فالقومية لديه  
اذ ذاك كانت هى ما يربطه بقريته من أواصر المحبة ، وانها لوثيقة .  
والفلاح يحب بلده ونيله وأهله حبا يملأ شغاف قلبه . وهو لذلك  
لا يستطيع أن يعيش بعيدا عن أرضه ، فهو يتعلق بها وبقريته  
تعلقا يقرب من حد العبادة ، وهو اذا تهرب من التجنيد فلأنه يباعده  
بينه وبين وطنه أى قريته . وهو لبساطته كان فى حاجة الى توعية  
تبرر له انتزاعه من الأرض للاشتراك فى حرب . فلماذا يحارب  
فى بلاد العرب أو السودان أو اليونان وهو لا مطمع له فى تلك  
البلاد أو فى غنائم تعود عليه من قتال شعوبهم ، مثل ما لدى  
العناصر الأخرى من ترك أو البان مقاتلين . فالفلاحون المصريون  
كما حلل نفسياتهم المبعوث البريطانى بورنج فى تقريره « لا يخشون  
ما قد يتعرضون له من أخطار فى الخدمة العسكرية بقدر ما يحبون  
واديهم حبا عميقا يتجلى فى جميع أفراد الشعب المصرى » . كما  
قال عنهم أيضا « انهم يعيرونهم اللامعة وقوامهم الجميل يستحيل  
أن ينظر المرء اليهم دون أن يوليهم اهتماما وتقديرا بالغا ، فهم



جادون فى تحمل المسئوليات ومرحون أيضا الى أقصى حدود المرح بعيدا عن مسئولياتهم » .

ولذا يمكن ان نقول ان الفلاح المصرى عندما حاول مقاومة انتزاعه من الأرض فى الأوائى ، لم يكن ذلك لصفة غير الخميطة فيه ، بل لعذر يجب ان نلتمس له ولدوافع ، يجب أن نعترف بما لها من قدر . لعل أولها احساسه بالمسئولية ازاء زراعة أرضه التى نما أجداده عليها كما نبت عليها الزرع ، والتى ستترك بورا وبلا زراعة من بعد تجنيده . ولعل منها مسئوليته ازاء إعالة أسرته . . . . . الزوجة والأطفال وربما الآباء والأمهات والأخوة الصغار . وهو لا يستطيع ان يعولهم الا من زراعة أرضه ومن نتاج أرضه ومحصولها . فاذا انتزع من قريته ولم تزرع أرضه . . . كيف يكون مال هذه النفوس . . . ؟ وكيف يشبعون أو يسد رمقهم ، ثم هناك أيضا مسئوليته عن أبنائه الأطفال وعن العناية بهم ، والحفاظ على زوجته وخدمة والديه والمتعة فى إعانة أهل قريته . ولا يلقى بنا اذن ان نساير تلك المقولة عن الفلاح المصرى لعدم صحتها ، بل على العكس منها يجب ان نقدر درافعه الحميدة التى تأسست على ما طبع عليه من شهامة وطيبة .

وقد كان من الأهور العادية ان تتبع الأسرة عائلها عند تجنيده الى مركز الفرز أو مركز التدريب لكى تعيش بالقرب منه ، تطمئن عليه ويطمئن عليها ، تقاسمه جرائته أو أجره ويقاسمها ما جلبته معها من خيرات القرية ، فلا حياة لهما نفسيا وماديا دون بعضهما البعض . وكان مما يزيد الأمر سوءا ان اختيار أو فرز الرجسالى الصالحين للمجندية لم يكن يتم فى القرية أو المركز الذى تتبعه . وانما كان يحدث بعد وصول المجندين لمعسكر الفرز العام أو معسكر التدريب وهو بطبيعة الحال يبعد كثيرا فى معظم الحالات عن قرية المجند . وجرت عادة المسئولين عن جمع اللازمين لتكوين

الآليات الجديدة على المسالفة في الأعداد التي يتم جمعها نأمينا لجانبهم أمام رؤسائهم بصرف النظر عن المتاعب التي يتحملونها هم وأسرههم في الانتقال الى مراكز الفرز دون مبرر . ومن ذلك وكمثال واقعى نجد انه وصل لمعسكر جهاد آباد الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن فى عام ١٨٢٥ نحو سبعين ألف فرد - فى الوقت الذى لم يزد فيه تعداد الشعب المصرى عن مليونين تقريبا . اختير منهم اثنا عشر ألفا فقط ، ورفض حوالى اثنين وعشرين ألفا . أما الباقون وعددهم نحو ستة وثلاثين ألفا ، فكانوا من النساء والفتيات والأطفال والكهول ، الذين لحقوا بالمجندين للمعيشة بفربهم والاطمئنان على أحوالهم .

وكما ذكرنا فقد أمكن اعداد الآليات الثلاثة خلال أربعة أشهر ، والوصول بالمدرين الى مستوى جيد مما أعجب به محمد على عند زيارته للمعسكر فى مارس ١٨٢٥ حيث أقام به خمسة عشر يوما ، شاهد خلالها العرض العام الذى أقامته الآليات الثلاثة وحضر مناوراتها . وعلق أحد أعضاء البعثة الفرنسية التى عملت فى تدريب المصريين ، على زيارة محمد على فى رسالة له أرسلها فى شهر مايو عام ١٨٢٥ « بأن الوالى تملكته الدهشة لما رآه من انتظام الجند وانضباطهم ، وأعجب بدقتهم فى اطلاق النار واصابة الأهداف سواء خلال التقدم أو التقهقر ، كما شاهد اسلوبهم الناجح فى الهجوم على شكل طوابير . وبالإيجاز أعجب بكل ما استطاعت هذه الآليات الثلاثة ان تقوم به أمامه من حركات عسكرية متنوعة فى مهارة وبراعة . وكان من أثر اعجاب الباشا أن دعا الى المعسكر جميع الوزراء والعاملين فى الوظائف القيادية بالدولة . . . »

## انشاء فرق معاونة للجيش :

من الأمور الطريفة انه لم يغيب عن ذهن القائمين بأمر الجيش المصرى ، أهمية ادخال الموسيقى فى الفرق . أسوة بما هو متبع فى جيوش أوروبا الحديثة وعلى نسقها . وبناء على هذا الانجاء أنشئت فرقة موسيقية فى مايو ١٨٢٥ ، اتخذت لها من معسكر الخانقاه ( الخانكة ) شمال القاهرة مركزا لتدريباتها . وقد تكونت هذه الفرقة أصلا من مجموعة من العناصر الأوروبية ، فرنسيين وأسبان وألمان ممن يجيدون العزف على الآلات الأوربية . ومن الأمور الغريبة ان انشاء هذه الفرقة أثار كثيرا من الاعتراضات ، من قبل بعض المسئولين ، على أساس ان الموسيقى لا تتفق مع ما يجب ان تكون عليه الجندية من جدية وخشونة .

ان الاعتراضات على انشاء الفرقة الموسيقية ، أشبه ما تكون بالاعتراضات التى ثارت عند انشاء النظام الجديد فى الجيش سابقا ، ومنل ما أثاره فيما بعد استخدام الأطباء البشريين بل والأطباء البيطريين . حتى ان الأخيرين حيل بينهم وبين فحص الحيوانات التى أصيبت بأمراض على أساس أن تلك الأمراض هى « من عند الله » واقتصر عملهم على علاج تلك النى أصيبت فى حوادث تسبب فيها الجند . ومع ذلك فان معارضة كل جديد وعدم استماعة الأنغام الأوربية خفتت تدريجيا . وبدأ ضباط الجيش وجنوده يألفون الموسيقىات العسكرية وأصبح لاكثر آليات الجيش فرق موسيقية خاصة بها تثير بين رجالها الحمية والنشاط . وأدى هذا التجاج الى انشاء مدرسة للموسيقى فى الخانقاه ، ضمت عددا من التلاميذ قراوح بين مائة وثلاثين ومائة وخمسين .

احتاج الجيش المصرى الى فريق من المهندسين العسكريين ، لكى يحلوا مكان فرق « البلطه جى » أى فرق « حملة البلط » الذين

اعتمدت عليهم آلايات المشاة ، فى تمهيد الطرق وشقها واقامة  
الجسور وبت الألغام . وقيل أنه وجدت أورطتين من المهندسين  
الفنيين بلغ تعدادهما ألف ومائتى فرد . ولكنهم كانوا يكلفون فى  
كثير من الأوقات بأعمال عسكرية أكثر مما هى هندسية . ومع  
ما قاموا به أحيانا من أعمال فنية مما يلزم الجيش فى تحركاته ،  
الا انهم لم يصلوا فى الأوائل للدرجة المناسبة من الكفاية ، لقصر  
فترات تدريبهم .

أما العناية الطبية بأفراد الجيش المصرى ، والتي امتدت فيما  
بعد الى الشعب المصرى ، فقد وضعت تحت اشراف فرنسى اسمه  
كلوت بك Clot . ولا زال أحد الشوارع المفرعة من ميدان  
رمسيس يحمل اسمه حتى الآن تقديرا لما بذله فى خدمة الجيش  
والشعب صحيا . وقد جمع عددا لا يقل عن ثلثمائة تلميذ فى  
« أبو زعبل » لدراسة الطب . كما أعد مكانا خاصا لدراسة  
الصيدلة وكانت المحاضرات تلقى عليهم بالفرنسية أو بلغة المحاضر  
إذا لم يكن فرنسيا فى بعض الحالات . ويقوم التراجمة ،  
السوريون فى معظم الحالات ، بترجمتها فورا الى العربية . وقد  
أشرف كلوت بك أيضا على ترجمة ١٥٢ كتابا فى الطب والصيدلة  
مما جلبه من الخارج من اللغات الأوربية الى اللغة التركية ، وإلى  
اللغة العربية بالاسلوب - أو اللغوة - السورية . واستطاع بعد  
فترة اعداد نحو ١٥٠٠ طبيب ، معظمهم من المصريين اعدادا لا بأس  
به . وقد نقلت مدرسة الطب فيما بعد . وكذلك مدرسة الصيدلة  
الى مكانهما الذى استقرا فيه حتى الآن ، الا وهو القصر العينى .  
واستمر اشراف كلوت بك عليهما حتى وفاة محمد على .

ومما يشرف الجيش المصرى ان كفاءته لم يشهد بها مصريون  
بقدر ما شهد بها أوروبيون خاصة من السلك العسكرى . ومن ذلك  
ما ذكره الجنرال فييجان الفرنسى الذى عاصر انشاء النظام الجديد

بالجيش المصرى من « ان الفرق المصرية كانت فى حالة جيدة ولو ان مظهرها لم يكن ليرى أولئك الأوربيون الذين الفوا رؤية الجندى الفرنسى أو الألماني بمظهره الفخم وهو منقلد سلاحه ، غير أن أهم شىء فى الواقع هو أن هذا الجيش كان يجيد القتال ، ولهذا أحرز الكثير من الانتصارات وصمد فى وجه الهزائم ، دون أن تفتر همته أو تلين له قناة » . ومما يؤكد السمعة الطيبة التى حصل عليها الجيش المصرى بفضل الفلاح المصرى المجند ، الذى كان فيه بمثابة الأساس والعمود القومى ، ان حكومة شارل العاشر فى فرنسا ، طلبت الاستعانة به فيما بعد عندما أعدت حملتها الى بلاد الجزائر فى عام ١٨٣٠ .

خلاصة الأمر ان عناية مصر محمد على بإنشاء جيش مصرى وفقاً للنظام الجديد أدى - من واقع الاحصائيات الرسمية - الى ارتفاع عدده من ٢٤ ألفا فى عام ١٨٢٤ الى ٤١ ألفا فى عام ١٨٢٥ وإلى ٨٠ ألفا فى عام ١٨٣٣ وإلى ١٥٠ ألفا فى عام ١٨٣٩ هذا عدا القوة غير النظامية التى كانت ١٢ ألفا فى عام ١٨٢٨ والتى بلغت ٢٢ ألفا فى عام ١٨٣٩ . كل هذا من شعب تدور معظم الاحصائيات عن تعداده حول رقم المليونين .

ومن الحق أن نشير هنا الى النضحيات الكبيرة التى تحملتها مصر بسبب تجنيد الفلاحين فى الجيش المصرى . اذ انتزعت أكفأ طائفة من الزراع من القرى التى كانت تعيش فيها . وترك كثير من الأراضى بدون زراعة وبدون نسيج . وزاد الأمر سوءاً فى الأوائل ، ادخال زراعة القطن اجبارياً ، اذ أضر ذلك بالفلاح ، وات أفاد مصر والمشروعات الطموحة التى حاول محمد على تنفيذها داخلاً وخارجاً . اذ أن محصول القطن كان حكراً للدولة ، يسلمه الفلاح بأكمله لمندوبيها دون أن ينال منه شيئاً ، بعكس الحال فيما يتعلق بالمحاصيل الغذائية من قمح وفول وذرة وشعير . ان

تكلفة اعداد آليات الجيش وملحقاتها ، وتكلفة السلاح والذخيرة وبناء السفن ما كانت تتم تغطيتها الا من القطن الذى كان حكرا للدولة ، والا من حصيلة الغلال التى كان يجمع جانب كبير منها من الفلاحين أو نجمع كلها أحيانا منهم مقابل ائتمان زهيدة ، ثم يعاد بيع جانب منها لهم مقابل سعر مرتفع . كما ان المصرى تحمل تلك الضريبة الفادحة التى قررت عليه وهى ضريبة الرأس . ومما زاد من ثقل هذه الضرائب وعيبتها على المصرى الانحرافات التى كانت تحدث سواء خلال عمليات جمع المحاصيل من قطن وغلال أو خلال تحصيل ضريبة الرأس . ومن ثم نستطيع ان نقول ان المصرى بفاعليته ونضحياته ، كان يمثل الركن الأساسى فى بناء الاصلاح سواء أكان عسكريا أم اجتماعيا فى عهد محمد على . ذلك الاصلاح الذى أنتج من الفوائد الكثير مما لا مثيل له . ذلك الاصلاح الذى أخرج مصر والمصريين من ذلك القمقم الذى اختزنوا فيه أو أغلق عليهم فيه . على مدى عدة قرون ، الى الانفتاح على العالم الحديث بما احتواه من علم ومن نظم .

### الاسطول المصرى :

يجدر بنا وقد تتبعنا مراحل انشاء جيش مصر البرى فى عهد محمد على . ذلك الجيش الذى اسنطاع به أبناء مصر فتح الحصون المنيعه والانتصار فى المعارك الحربية والاسنيلاء على المدن فى كريت واليونان والجزر ، ومكنوا بذلك أهمهم مصر من السيطرة على بلاد اليونان ٠٠٠٠ يجدر بنا ان نشير الى الجناح الآخر للقوة المصرية العسكرية ، ألا وهى قوة الاسطول المصرى ، الذى نقل الجيش البرى الى مركز العمليات الحربية ، سواء فى كريت أو اليونان أو الجزر التابعة لها . وقام خلال ذلك بدور رئيسى فى

المعارك البحرية ، التي نشبت بينه وبين الأساطيل اليونانية ، التي امتاز بحارتها بخبرة متوارنة وعريقة .

والواقع ان انشاء أسطول بحرى مصرى ، ارتبط بخليط من الدوافع السياسية والاقتصادية بالإضافة الى الضرورات العسكرية . ان وجود بحرية مناسبة تابعة لمصر ، كان من شأنه دعم صلاتها بالأمم المتحضرة ، وتسهيل تصدير المنتجات المصرية وخاصة بعد ان أصبحت تلك المنتجات حكرا أو شبه حكر على الحكومة المصرية ، وأصبح إيرادها يمثل جانبا أساسيا من إيرادات الدولة . كما ان وجود بحرية قوية تابعة لمصر ، كان يمثل أهمية خاصة لمحمد على ، اذ يجبر بها الباب العالي على ان يعمل لمصر ألف حساب . وأن يحترم قوتها وإرادتها . ويتجنب بها تهديدات السلطان الذى لا مبدأ له ، وبالتالي لا يمكن أن يؤمن جانبه لأنه يستطيع رفقا لأهوائه ونزعاته ، ان يدخل الرعب الى قلبه وقلب الشعب المصرى . اذا أرسل لنصر مثل الاسكندرية جانبا من الاسطول العثمانى . دون ان يجد فى مواجهته أسطولا مصرى . ولا تغفل أيضا أهمية وجود أسطول مصرى ، يستطيع ان يواجه قراصنة البحر الأبيض سسواء آكانوا من اليونان أو غيرهم ، ويحمى شواطئ البلاد وسكانها (١٠) .

ولكن الصعوبات فى وجه انشاء أسطول مصرى لم تكن قليلة . فمصر لم يكن لديها فى ذلك الحين اهتمامات بحرية . ان ثلاثة قرون من الحكم العثمانى لمصر والسياسة العثمانية التى قامت على اغلاق البلاد التابعة لها وعزلها عن كل أنحاء العالم ، استطاعت الى حد كبير أن تقطع الصلة بين مصر والعالم وان تمييت ما كان من توجهات بحرية وخبرات فنية متصلة بالملاحة ، خلال العصور الوسطى . وبالتالي لم يكن لدى مصر القدر الكافى من الرجال المدربين على الصناعات البحرية ، كما كان ينقصها المواد اللازمة

لبناء السفن . . . الأخشاب وسواها . وذلك بالإضافة الى ان موانئها وعلى رأسها ميناء الاسكندرية لم تعد مداخلها - مع كثرة الازمة - صالحة لمرور السفن الكبيرة من نوع الغليون - وهو ما يمكن ان نسميه بالبوارج - ومن ذلك ان مدخل ميناء الاسكندرية كان اقل من سبعة أمتار عمقا .

احتاج محمد علي أولا لبناء بعض القطع البحرية لكي تعاونه في نقل الجيش المصري الى بلاد العرب ، عندما طلب منه السلطان العثماني ارسال حملة ضد الوهابيين الخارجين عليه في الجزيرة العربية . واسترشد محمد علي في تحقيق ذلك ، بما سبق أن اتخذ الفرنسيون أثناء وجود حملتهم في مصر من اجراءات ، حين فكروا في ايجاد علاقات بينهم وبين أمراء الهند عن طريق البحر الأحمر . اذ أنشأ نابليون ترسانة في بلاق ( بولاق ) ، صنعت فيها مراكب حربية صغيرة ، كما صنعت بها مركب من نوع القرويت . ثم حملت أجزاء هذه المراكب الى السويس على ظهور الجمال . حيث تم تجميعها وتركبها ثم انزالها بنجاح الى البحر الأحمر .

واقترع بما تحقق من نجاح علي يد المصريين والفرنسيين في عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨ - ١٨٠١ ، أمر محمد علي « ببناء بحرية مصرية » في البحر الأحمر كبادرة لمشروعات أكبر . وأشاع أن الغرض من انشائها هو استخدامها في نقل المتاجر حتى لا يتضرر عليه شكوك الباب العالي ، بالإضافة الى مخاوف القوى العظمى اذ ذاك ، وعلى رأسها بريطانيا التي كانت تنظر بعين الريبة لكل من يقترب من الهند . . . جوهرتها في الشرق . وأنشأت مصر تنفيذاً لتلك السياسة بساحل بولاق « ترسانة وورشات » جمع لها مهرة الصناع والعمال من أنحاء مصر وبخاصة من الاسكندرية . كما استقدم لها بعض الصناع الفنيين من أنحاء أوروبا . وجلست



الأخشاب الصالحة حيثما توفرت في أنحاء مصر ، واستكمل الباقي من جبال لبنان وآسيا الصغرى . كما أقيمت منشآت في السويس لتجميع ما ينقل إليها من أجزاء السفن المفككة .

وأمكن بذلك في سبتمبر ١٨١١ ، أن يغادر ميناء السويس أسطول صغير في طريقه إلى بلاد العرب . فكان أول أسطول مصرى في العصر الحديث . ومع أن هذا الأسطول كان صغيرا إلا أنه كان كافيا لنقل الجند ونموين الحملة ضد الوهابيين بكل حاجياتها ، مع إمدادها بصفة مستمرة ببنجولات من الرجال والمزيد من السلاح والذخيرة . كما قدمت مدافعه الحماية اللازمة لتأمين سلامة الجيود المصريين عند انزالهم إلى البر في موانئ الجزيرة العربية أو على سواطئها .

وإذا كانت مصر بدأت أولا بإنشاء أسطول مصرى صغير في البحر الأحمر لغرض حربى ، فإنها أنشأت أسطولا آخر في البحر الأبيض لغرض اقتصادى وتجارى في بادئ الأمر . وشجع الإدارة المصرية على ذلك ، النجاح النسبى الذى تحقق في البحر الأحمر إذ أمكن بناء قطع بحرية استطاعت أن تؤدى عملياتها بكل نجاح . وكتب لها التوفيق فيما عهد به إليها من مهمات وقبل هذا وذاك . وجد نوع من الاطمئنان لدى تلك الإدارة إلى أمرين رئيسيين ، أولا إلى الصانع المصرى بعد أن أثبت عمليا ما لديه من إمكانيات طيبة ومهارات اكتسبها بذكائه سريعا وذلك فى بناء تلك السفن . وثانيا إلى البحار المصرى وما أثبتته من قدرة على تسيير ما يتم بناؤه من سفن فى البحر ، أسوة بما هو فدير على تسييره من مراكب فى النيل بكل نجاح وثبات .

إن الباعث الجوهرى على إنشاء أسطول تجارى لمصر فى البحر الأبيض ، مما كان بمثابة فاتحة للنشاط البحرى لها به ،

هو سيطرة الادارة المصرية والباشا على تجارة الصادر . كما حاولت تلك الادارة احتكار النقل النهري داخل البلاد ، فانها حاولت ايضا الانفراد بفوائد النقل البحرى . فقد اتفقت مصر محمد على مع انجلترا فى عام ١٨١٠ ، على بيع الغلال لها وكسبت كثيرا من ذلك ، خاصة خلال الحروب النابليونية وفترة الحصار القارى ، بسبب ارتفاع الأسعار . مما شجعها على فتح مراكز او وكالات للتجارة المصرية فى معظم أنحاء أوربا . وقد اشار الجبرى الى هذا النشاط البحرى التجارى فى حوادث ١٢٣١ هـ ، ١٨١٦ م فذكر « ان الباشا اقام له وكلاء بسائر الأساكل حتى ببلاد فرانسة والانكليز ومالطة وأزمير وتونس والنايلطان - نابلى - والبنادقة واليمن والهند . وأعطى أناسا جملا عظيمة من أموال بسافرون بها ويجلبون البضائع ، وجعل لهم الثلث فى الربح نظير سفرهم وخدمتهم » .

وفد حدث خلال الحصار القارى ، أن تعرضت بعض السفن الانجليزية التى كانت محملة بغلال مصرية لاغارة الفرنسيين عليها ، مما حفز محمد على الى تعزيز أسطول التجارى ليسنطيع نقل كافة الصادرات المصرية دون الالتجاء الى سفن اجنبية . وتألف ذلك الأسطول فعلا من فرقاطة أطلق عليها اسم « افريقية » بنيت فى ميناء الاسكندرية وأرسلت لانجلترا فى عام ١٨١٠ لنحويلها الى مركب حربى . وسلحت هناك فعليا بثلاثين مدفعا من البرنز وأصبحت ذات شأن فى الاسطول المصرى بعد عودتها للاسكندرية . وانضم الى الفرقاطة « افريقية » أربع سفن أخرى اشترتها مصر من الخارج ومجموعة من المراكب التجارية المتوسطة حمل بعضها عددا من المدافع لتكون قادرة ، اذا هوجمت ، على الدفاع عن نفسها . وغادر هذا الاسطول محملا بالغلال ميناء الاسكندرية فى أغسطس ١٨١٢ ، فوصل الى مالطة بسلام وأمان ، حيث أفرغ حمولته من

الغلال وعبأها بالذخائر والأسلحة اللازمة للحملة الوهابية . مما شجع مصر على ان تكرر القيام بمثل هذه الرحلات . سواء الى مالطة أو الى الاسنانة أو الى بعض موانى البحر الأبيض .

وفى عام ١٨١٢ كان الاسطول المصرى فى البحر الأبيض يتألف من . أفريقية ووشنطن - وهو مركب أمريكى - وفرقاطة أخرى ذات أربعين مدفعا ، وثمانية مراكب تجارية كبرى . وفى عام ١٨١٧ أصبح هذا الاسطول بعد تعزيزه مؤلفا من سبعة عشر مركبا كبيرا . وفى العام التالى أصدر محمد على أمرا ببناء ثلاث فرقاطات أخرى بالاسكندرية لحمل ونقل الغلال والفحم والخشب والرخام الى البلاد الخارجية . وكانت هذه الفرقاطات تحمل المدافع على ظهرها لحماية نفسها من القراصنة . الا أن جميع هذه القطع برغم تسليحها كانت سفنا تجارية أكثر منها حربية الى ذلك الحين . واحتساج الأمر الى كبر من التطوير والتعديل والتعزيز لتحويلها الى اسطول حربي .

وقد توفر الحافز الى ذلك عندما لجأ السلطان العثمانى بعد عام ١٨٢١ لمحمد على ، لكى يعاونه فى اخضاع ثورات كريت والجزر اليونانية . وقد انهز محمد على تلك الفرصة التى أعطته ما يبرر به انشاء اسطول مسلح . وسرعان ما اتجه الى الموانى الأوربية للارتباط معها على بناء سفن حربية . وهكذا فعندما خرج اسطول مصرى من الاسكندرية فى عام ١٨٢٤ لملاقاة سفن الثوار اليونان كان يتألف من ٥١ مركبا مسلحا ، ١٤٦ نقالة حملت ١٨ ألف جندي . وعندما وقع الصدام بين هذه القوة والثوار رأى قادة الاسطول المصرى ومحمد على ، انهم اذا أرادوا أن يكونوا ندا للثوار اليونان ، واذا أرادوا التغلب على المراكب اليونانية ، فلا سبيل لهم الى ذلك الا بانشاء مراكب أكبر وأسرع وأقوى تسليحا ، مما كان لدى مصر اذ ذاك . وبناء عليه طلبت مصر تلك النوعية من

فرنسيا عن طريق قنصلها درومنى ، كما طلبت ارسال أحد الضباط  
الاكفاء من البحرية الملكية الفرنسية ، لتكليفه بإنشاء مدرسة  
لتدريب البحارة المصريين ، على أحدث فنون الحرب البحرية نظريا  
وعمليا .

ومن الواضح أن مصر كانت تغطي تكلفة شراء تلك السفن من  
الأموال التى تحصل عليها من بيع المحاصيل المصرية والمنتجات  
التي كانت تصدرها الى موانئ أوروبا وأسواقها ، أى من كد الشعب  
المصرى ومن عرق أبنائه .

وقد حصلت مصر ، على عدة مراحل . من طلبية السفن الحربية  
التي قدمتها للموانئ والدول الأوروبية فى عام ١٨٢٤ ، على فرقاطتين  
وأربع سفن من نوع القرويت وخمس من نوع الابريق . وكانت  
هذه المجموعة من السفن (١١) هى عماد الاسطول المصرى ، الذى  
اشتركت به فى معركة نغارين التى سيأتى ذكرها فيما بعد ، والذى  
تكون من ٣١ قطعة غرق معظمها فى تلك الموقعة (١٢) .

وبرغم هذه الكارثة . فإننا نجد من واجبنا أن نخرج عن هدف  
هذا الفصل ، لشرح القوة التى دخلت بها مصر الحرب مع  
اليونان ومدى ما كان لديها من إمكانيات واستعدادات عسكرية ،  
لنشير الى رد الفعل فى مصر ، فإنه لم يمض على ذلك عامين حتى  
نجحت مصر فى تعويض خسائرها لا اعتمادا على الشراء من الخارج ،  
كما حدث فى المرحلة السابقة ، بل اعتمادا على ما يتم بناؤه فى  
دور الصناعة التى أنشئت فى مصر ذاتها ، تحت إشراف المهندسين  
الفرنسي المخلص مسيو دى سيريزى .

وإذا كان لمسيو دى سيريزى فضل الإشراف ، فإننا لا نغفل  
اليد المصرية العاملة حقها ، الأمر الذى بدونه ما كان يمكن تحقيق

سياسة مصر محمد علي وتطلعاتها الدائمة الى تمصير كل شيء ،  
واحلال المصرى مكان الأجنبى فى جميع الأنشطة والصناعات .

وقد ذكر بورنج البريطانى ، فيما جاء فى تقريره عن الرسالة  
المصرية أو بمعنى آخر دار الصناعة البحرية ، والصناع العاملين  
فيها ، بعد زيارات شخصية قام بها لدور الصناعات المختلفة  
« ان عدد العمال الأوربيين فى مختلف الصناعات البحرية قليل  
جدا . وعلى الرغم من أن العمال الوطنيين لا يمكن الموازنة بينهم  
وبين زملائهم الأوربيين الا انفسا اذا وضعنا فى الاعتبار المستوى  
والقدر الذى حصلوا عليه من التعليم أدركنا انهم يأتون بالعجائب  
وبخاصة من يشتغلون منهم فى بناء السفن فهؤلاء بالذات أقرب  
ما يكونون للعمال الأوربيين فى مستوى المهارة الفنية » . ولا شك  
ان هذه شهادة طيبة لصالح العامل أو الصانع المصرى ، خاصة  
اذا ما وضعنا فى الاعتبار ما ذكرناه سابقا من أن الأوربيين كانوا  
يتعمدون عدم اطلاع الصناع المصريين على الأسرار الفنية فى  
الصناعة ، حتى يظل المصريون على جهلهم ولا يستغنى عنهم أى عن  
الأوربيين . ومع ذلك فباعتراف بورنج استطلاع المصريون التقاط  
معظم أسرار الصناعات التى أدخلت وتفهم أساليبها ، وخاصة فيما  
يعلق بفرن بناء السفن وهندستها .

### المصريون فى البحرية :

سجل أمين سامى باشا فى كتابه « تقويم النيل وعصر محمد  
على » احصاء عن العاملين فى الاسطول البحرى . جاء فيه ان عدد  
الضباط البحريين فى عام ١٨١٠ كان (٢٧) ضابطا فقط أصبح فى  
عام ١٨١٩ (٧٨) ضابطا وفى عام ١٨٢٨ (١٥٩) . أما البحارة فكانوا

فى عام ١٨١٠ (٢٩٢٨) أصبحوا فى عام ١٨١٩ (٧٢٢٠) بحارا وبلغ عددهم فى عام ١٨٢٨ (١٣٣٦٥) بحارا . وهذا الاحصاء يكتشف لنا بوضوح ، عن ظاهرة هامة هى التزايد فى اعداد العاملين بالاسطول مما يؤكد الريادة السريعة فى اعداد قطعه .

أما عن نوعية البحارة العاملين فى هذا الاسطول ومدى كفاءتهم فقد شهد لها الأجانب قبل المصريين مما يعطينا ضمانة بعدم التحيز . ومن ذلك ما ذكره جون بورنج الذى جاء الى مصر فى الثلاثينات موفدا من بريطانيا ، كما ذكرنا سابقا ، لوضع تقرير عن أحوال مصر . اذ ذكر عن جنود البحرية المصرية « ان المصريين سكان وادى النيل ألفوا منذ صغرهم معيشة تكاد تجمع بين حياة البر والبحر مما جعلهم بحارة من الطراز الأول . ومع أن معظم ضباط الاسطول من العناصر التركية الا أن جميع البحارة من المصريين الوطنيين . والعناية بالسفن تنير الاعجاب فقد بلغت الغاية فى نظامها ونظافتها . وتوفير الأمان والسلامة لهذا الاسطول . مما يدعو الى تمام الرضا كما أن مظهر الاسطول فيما عدا أزياء البحارة لا يختلف عن مظهر أى اسطول أوروبى حسن التنظيم » . وذكر فى موضع آخر أيضا عن البحارة المصريين « انهم جميعا سباحون من الطراز الأول ومن أيسر الأمور بالنسبة لهم القيام بالمناورات البحرية التى يؤدونها بكل مهارة » . ونقل بورنج عن أوربى آخر ، كان يقود احدى السفن الحربية لمصر ما وصف به المصريين من « أن من السهل تعويدهم النظام ، كما انهم يتحلون بالصبر والطاعة والوداعة والاخلاص . ويحتملون ضروب الحرمان فى هشاشة وبشاشة ولا يكفون عن المرح والدعابة الا نادرا » .



## الفصل الخامس

---

### مصر والحرب مع اليونان





## مصر والحرب مع اليونان

### من الحكم ولن القيادة ؟

بناء على الاتفاق الذي عقد بين محمد علي والسلطان محمود الثاني ، بشأن تعيين ابراهيم باشا حاكما عاما لشبه جزيرة المورة ، بما فيه العاصمة أثينا وقائدا عاما للأسطول المصرى ، مما سبق الإشارة اليه فى الفصل الثالث ، أبحرت القوة المصرية من الاسكندرية فى ١٠ يوليو ١٨٢٤ . وبرغم وجود شيء من التضارب بين أقوال المعاصرين وتقاريرهم ، ومعظمهم من الأوربيين ، بشأن تعداد القوة البرية والبحرية وتعداد قطع الاسطول المصرى وذلك لصعوبة اجراء حصر دقيق الا انه استنادا للاحداث المصاحبة يمكن القول انها كانت تتكون من ١٦ ألف جندى نظامى ، تمثل الآليات الأربعة التى دربت على يد الكولونيل سيف ، بالإضافة الى بضعة آلاف أخرى تكونت من الفرسان ومن غير النظاميين . وهاتين الفئتين الأخيرتين لا يقل تعدادهما عن الألفين وقد يزيد كثيرا . هذا غير أطلق السفن من البحارة النوتية والبحارة المسلحين وضباطهم البحريين . وقد تم ابحار هذه القوة على عدد من الناقلات ، تراوح

بين مائة ومائه وخمسين ناقلة ، فى حماية عدد من السفن المسلحة.  
تراوح بين الواحد والخمسين والثلاثة والستين تحت قيادة  
ابراهيم باشا .

أما القيادة العليا - فوفقا لسياسة الباب العالى التقليدية  
التي جرت على تقسيم السسلطة - (١٣) فمنحت لمسرو باشا  
« كقبطان باشا » ، وهو لقب يعنى القائد الأعلى لجميع الأساطيل.  
المسركة .

ان اختيار الباب العالى لمسرو باشا (١٤) بالذات وعلى وجه  
التحديد ، لقيادة الأساطيل العثمانية ما كان ليرضى محمد على باى  
حال من الأحوال . فكلاهما يبطن للآخر العداء منذ طرد خسرو باشا  
من باشوية مصر بفعل مؤامرات محمد على . حققا ان السلطان  
ضمن بهذا الاختيار استحالة اتحاد ابراهيم باشا وخسرو باشا  
ضده وضد سلطانه العليا . ولكنه أيضا كان يستطيع ان يضمه  
بفضل هذا الاختيار استحالة قيامهما بعمل ناجح أو حصولهما  
على نصر حاسم .

وعلى كل فقد اتفق على ان يتجمع الأسطولان التركى والمصرى  
فى جزيرة رودس . على ان يتحركا فى اتجاه الجزر اليونانية  
الصغيرة المنتشرة فى بحر ايجه . على أساس ان تلك الجزر تمثل  
مركزا عاما للثورة اليونانية ، ومعقلا أهم للثوار اليونان والقراصنة  
الذين هددوا بهجماتهم الخاطفة سلامة المراكب العثمانية سواء  
أكانت تجارية أم حربية ، بالإضافة الى سلامة الموانئ التركية .  
واتفق أيضا على اتجاه الاسطولين ، بعد اخضاع الجزر ، نحو  
المركز الرئيسى للثورة اليونانية الهيلينية ، ألا وهو شبه جزيرة  
الموره . ومن المعروف ان تلك الخطة كانت من اعداد محمد على ،  
وهى توضح مدى ادراكه لما للجزر اليونانية من أهمية استراتيجية .



مناطق الصراع خلال الثورة اليونانية  
وحدود اليونان الحالية

فى السيطرة على البحر ، وفى التأثير على أى عملية أخرى مما يمكن  
اجراؤه فى قلب بلاد اليونان أى فى شبه جزيرة المورة .

بدأ خسرو بصفته القائد الأعلى لاسطول الدولة العثمانية  
« قبطان باشا التركى » قيادته بداية طيبة . وفى الثالث من شهر  
يوليو اسولى على بسارا Psara وكانت تمثل مركزا هاما  
للقراصنة فى غرب جزيرة خيوس Chios

وكان عليه ان ينتقل للخطوة الثانية أو للمركز الثانى  
لعملياته الحربية مملا فى جزيرة ساموس Samos . ولكنه  
أضاع نحو شهر كامل فى اقامة المهرجانات احتفالا بانتصاره فى  
بسارا . ومما لاشك فيه انه قصد بذلك احاطة انتصاره بهالة من  
المجد ، كنوع من العناية لشخصه ولقدراته ومواهبه العسكرية ،  
ولعله قصد أيضا المماثلة والتسويق ، انتظارا لوصول الاسطول  
المصرى ، حتى يترك له الجانب الأكبر من عبء اخضاع الجزر  
اليونانية النائرة والقراصنة الخطرين ، محملا اياه عبء الخسائر  
والتضحيات التى قد تصحب ذلك .

ولكن القراصنة من اليونان نجحوا فى ١٦ أغسطس فى  
استدراج الاسطول العثمانى وقائده الى بعض مناوشات كسفت  
عما كان يعانى ذلك ذلك الاسطول من ضعف وتخاذل سواء فى  
القيادة أو الرجال . اذ خسر ثلاثا من قطعه الهامة ، فرقاطتين  
ونقيرم ، وولت بقية القطع لائذة هاربة بنفسها من الميدان .

انضم الاسطول المصرى بقيادة ابراهيم باشا للاسطول التركى  
فى ٢٩ أغسطس ١٨٢٤ . وخلال شهر سبتمبر حدثت بضبي  
مناوشات مع اليونان ، لم يظهر فيها الاسطول التركى أى قدر من  
المهارة أو الشجاعة .

وقد جاء في رسالته من دروفى Drovelli قنصل  
فرنسا في مصر ، الى البارون دي داماس Baron de Damas  
أحمد المستشارين الفرنسيين ، بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٨٢٤  
« يرى محمد على بعد الهزائم التي تعرض لها القبطان باشا  
أمام ساموس ، عدم صلاحيته لقيادة القوات العثمانية ، وبناء  
عليه طلب احلال يوسف باشا مكانه في القيادة العليا للفسرات  
العثمانية لأنه أكثر مقدرة على ادارة دفعة العمليات الحربية » .

وفي نهاية شهر سبتمبر ، قرر السلطان اعادة حسم الى  
استانبول ، لبعض أسباب من بينها ما أظهره من فشل . ومن ثم  
تركت القيادة لابراهيم بمفرده . وكانت الظروف التي تولى فيها  
تلك القيادة تفرض عليه اتخاذ موقف الدفاع فالظروف الجوية  
سيئة ومخاطر البحر في ازدياد ولهيب الثورة يزداد شدة واندلاعا  
ولذا فانه آثر تجميع سفنه في خليج سودا Suda على الساحل  
الشمالي الغربي لكريت حيث المزيد من الاستقرار والأمان .  
ونجح في تحقيق ذلك دون خسارة ذات بال . أما محمد على في  
مصر فكان آخر من يستسلم لنوبات اليأس وآخر من يقبل هزيمة  
أو يرضخ لها . وفي ذلك قال « أنا لا أستطيع بناء أسطول في  
صحراء الأهرام وكذلك أنا لا أستطيع تحاشي الخسائر في الحرب .  
ولكن مع الوقت سيكون لدى أسطول كبير وقوى ، وعندئذ أستطيع  
تكبيد اليونانيين خسائر فادحة وهزائم ساحقة » .

وجد محمد على ان المحور الأساسي للحرب مع اليونان  
يستند الى الأسطول البحري . فاخضاع الثوار وهم أهل جزر  
ورواد بحر ، يستلزم السيطرة بالتالى على البحر وعلى الجزر ،  
قبل الانتقال بالمعركة الى اليابسة ، وكشف محمد على لتلك الحقيقة  
دفعه الى زيادة قوة أسطوله وتعدده . وتسلم فعلا خلال تلك

الفترة أربع ناقلات جنود من إيطاليا كما وصلته خمس أخرى من دول ومدن أوروبية ، وأرسل مندوبا ( فرنسيا ) الى فرنسا للاتفاق على بناء ٣ سفن في أحواضها الملكية بمرسيليا . ومن الغريب ان محمد علي استطاع التفاهم مع بعض التجار اليونان ، الذين وضعوا سفنهم تحت امرته برغم ما كان من مذبحة خيوس (١٥) . كما تم الاتفاق مع مدينة البندقية وامارة لجهورن Daghorn على امداده ببعض السفن .

### موقف الشعب المصرى من الحرب وتمويلها

تعرضنا للحديث عن موقف الدولة العثمانية ومحمد علي من الثورة اليونانية ، ولكن ما هو موقف الشعب المصرى من تلك الأحداث . الامر الذى لاشك فيه انه هو بمفرده الذى تحمل جميع الأعباء المالية . التى استلزمها اعداد الحملات الحربية والبحرية المتتالية ، التى أرسلها محمد علي الى كريت والآن الى اليونان . هناك سن شراء السلاح والبارود والملابس . . . وهناك المؤن اللازمة لجنود الجيش ولخيالته . . . ثم نفقات انشاء الاسطول البحرى ، سواء أكان ذلك بشراء قبطيه من الخارج أم بتصنيعها فى دور الصناعة الجديدة ( الترسانات ) ، التى انشئت فى موانئ مصر ، واستفدتم لها بعض الخبراء والمهندسين من الخارج وخاصة من رنسا . أضف الى ذلك ان القوة المصرية التى اشتركت فى حرب لريب والموره بلغ تعدادها نحو الخمسين ألفا ، جند كلها - باستثناء ألف فرد تقريبا من أبناء المماليك والشراكسة - من المصريين . وذلك بعد تدريبهم بإشراف الكولونيل سيف ، فى وقت لم يتجاوز فيه التعداد الكلى للشعب المصرى مليونى فرد الا بقليل . وبالإضافة الى الأعباء التى تحملها المصريون فى أموالهم

وفى أبنائهم . فان محمد على رغبسة منه فى زيادة موارد مصر .  
وصادراتها ، أحدث تغيرا جذريا فى حياة الفلاح المصرى المحافظ  
بطبيعته ، عندما فرض زراعة القطن بدلا من زراعة الحبوب التى  
تمثل عامل الأمن الغذائى له ، فى كثير من المناطق . ولكن هذا  
لا يمثل كل تضحيات مصر وسعيا . بل لعل أكثرها قسوة وإيلاما  
انه لم يقع عليه عبء امداد جيشه فقط بل كان عليه ان يقدم  
الكثير من المعونات المادية والعينية للجيش العثمانى الذى اسنرك  
فى تلك الحرب ، حرب اليونان .

ومع ثقل هذه الأعباء ، فان المصريين تحملوها بشيء من التذمر  
حشا وبشيء من الصبر أحيانا . لما امتعوا به - فى المقابل - من  
أمن وسلام بفضل حزم محمد على . ولكن الأمر الذى لم يتحملة هذا  
الشعب ، هو أخطاء بعض الحكام المحليين واستبدادهم ، وكانوا من  
بغايا المالك والشراكية وقد كثرت انحرافاتهم على وجه الخصوص  
فى الأقاليم النائية من الصعيد . ولذا لا نعجب اذا استجاب جانب  
من هذا الشعب فى الصعيد الأعلى ، لداعية مغربى زعم فى ابريل  
١٨٢٣ ان الله ورسوله ، قد بعنا به ليضع حدا لعسف محمد على  
وليعاقبه على اصلاحاته المناقضة للسنة والشريعة . وانتشر أنصار  
هذا الداعية فى اسنا وقتنا . ونجحوا فى القيام بنوع من العصيان  
الشامل ، ولكن حركتهم حوصرت واخمدت بعد قليل .

أدرك محمد على ببصيرته وماله من مرونة سياسية وإدارية ،  
ان السبب الحقيقى لذلك العصيان هو مظالم حكام الأقاليم  
واستبدادهم . فأسرع الى عزل بعضهم ونقل البعض الآخر الى  
جهات أخرى . ثم قسم القطر بعد ذلك الى سبعة مديريات .  
وأعد لها مجالس احسال اليها جزءا كبيرا من السلطة التى كانت  
مركزة فى رجال القاهرة . كما انه وضع تنظيما جديدا ، كلف



بمصلحته بعض المسئولين بالطواف بالأقاليم لمراقبته تصرفات  
حكامها ، وموافاته بما يقدمه سكانها من تظلمات .

## تمرد بحارة اليونان

والآن نعود الى احداث الثورة اليونانية ودور الجيش المصري  
في احضارها . فبرغم ما انتصفت به تلك الثورة من عنف .  
وبرغم ما انتصت به اليونان من حماس وطني ، ومن استعداد  
عظيم بضحايا بالغة في النفس والنفيس . الا أن ذلك لم يمنع  
البخارة اليونان المنقسمين الى تلك الثورة من التوقف أو الاضراب  
عن القيام بعملياتهم المتكلمين به من قبل قادة الثورة الا وهو مراقبة  
حركات الاسطول المصري . وكان سبب تضررهم واضرابهم عدم  
دفع رواتبهم مما اعتبروه نوعا من الاستهانة بدورهم الخطير في  
نجاح تلك الثورة .

وما كاد يصل خبر ذلك الاضراب لابراهيم باشا حتى وجدها  
فرصة لا يعرض . فخرج في يناير ١٨٢٥ من مأمنه في خليج  
سودا ووجه الى مودون على الساحل الجنوبي الغربي لليونان  
حيث أنزل جيوشه في ٢٤ فبراير ١٨٢٥ . واستطاع ان يهزم  
اليونانيين بسهولة أمام نافارينو التي سقطت في يده في ١٨ مايو .  
وهي الشير التالي استطاع ان يحتل تريبوليتزا Tripolitza  
في وسط بلاد اليونان . ولما تصاعدت في وجهه مقاومة الشوار  
اليونان رد عليهم باحراق محاصيلهم والاستيلاء على مواشيهم .

ويبدو ان الشوار اليونان لم يفتنوا الى مآلديهم من امكانيات  
بحرية كبيرة ، كان من بينها امكان قيامهم بضرب مصر ذاتها في  
موانئها . هذا لذا استنينا عملية واحدة تسببت فيها اسدي

المراكب اليونانية الى ميناء الاسكندرية فى ١٠ أغسطس وحاولت اشعال النار فى السفن المصرية الرابضة فى مياهه . ولكن محاولتها لم تنجح واتفق اذ ذاك أن كان محمدا على متواجدا فى قصر رأس التين . فلما شاهد تلك المحاولة قفز مسرعا وأصدر تعليماته بضرورة اقتناص تلك السفينة ولما تعذر ذلك كلف عدة سفن مصرية بمطاردة أى سفينة يونانية يعثر عليها فى المياه المصرية . وفى ١٢ أغسطس وردت أنباء مفادها نجاح اليونان فى احراق مركب تحمل أخشابا واردة لمصر من ساحل الليريا بساحل يوغوسلافيا . وكان هذا فوق احتمال محمد على فما كان منه الا أن اعتلى ظهر أول سفينة وجدها وخرج جاثبا مياه البحر الأبيض لمدة اسبوع بحثا عن السفن المصرية ومطاردا لليونانية .

#### مصر تتحمل أعباء الأسطول العثماني :

ما كاد محمد على يبتعد عن الاسكندرية ، حتى حدثت مفاجأة غير متوقعة ، تكشف عن مدى استغلال الدولة العثمانية للبلاد التابعة لها . فهي لم تكتف بالقوة العسكرية التى أرسلتها مصر لاقماد الثورة اليونانية مع ما فى ذلك من أعباء باهظة ، المتحمل الوحيد لها هو الشعب المصرى . بل أضافت على ذلك الشعب الفدائي تحمل أجور ورواتب الجند العثمانيين والمؤن اللازمة لهم .

ذلك انه فى اليوم التالى لرحيل محمد على فى رحلته البحرية للكشف والمطاردة . وصل الى الاسكندرية أسطول تركى يحمل على ظهره خسرو باشا ويطلب دخول الميناء ومقابلة محمد على . هذا الاسطول غادر ميدان المعركة الدائرة حول ميسولونجى . فبينما كان ابراهيم يهاجمها برا كان على الاسطول العثماني ان يعاونه بمهاجمتها برا . ولما أخذ الاسطول العثماني ذلك الموقف

الخير للريية ؟ ٠٠٠ ان حجته في ذلك انه كان في حاجة شديدة الى التعزيز ٠٠ في حاجة الى مدد والى مال ٠ ولكنه بدلا من اللجوء الى الدولة العثمانية العظيمة !! لجأ الى نابعتها المرهقة ليضعف عليها الأعباء ٠

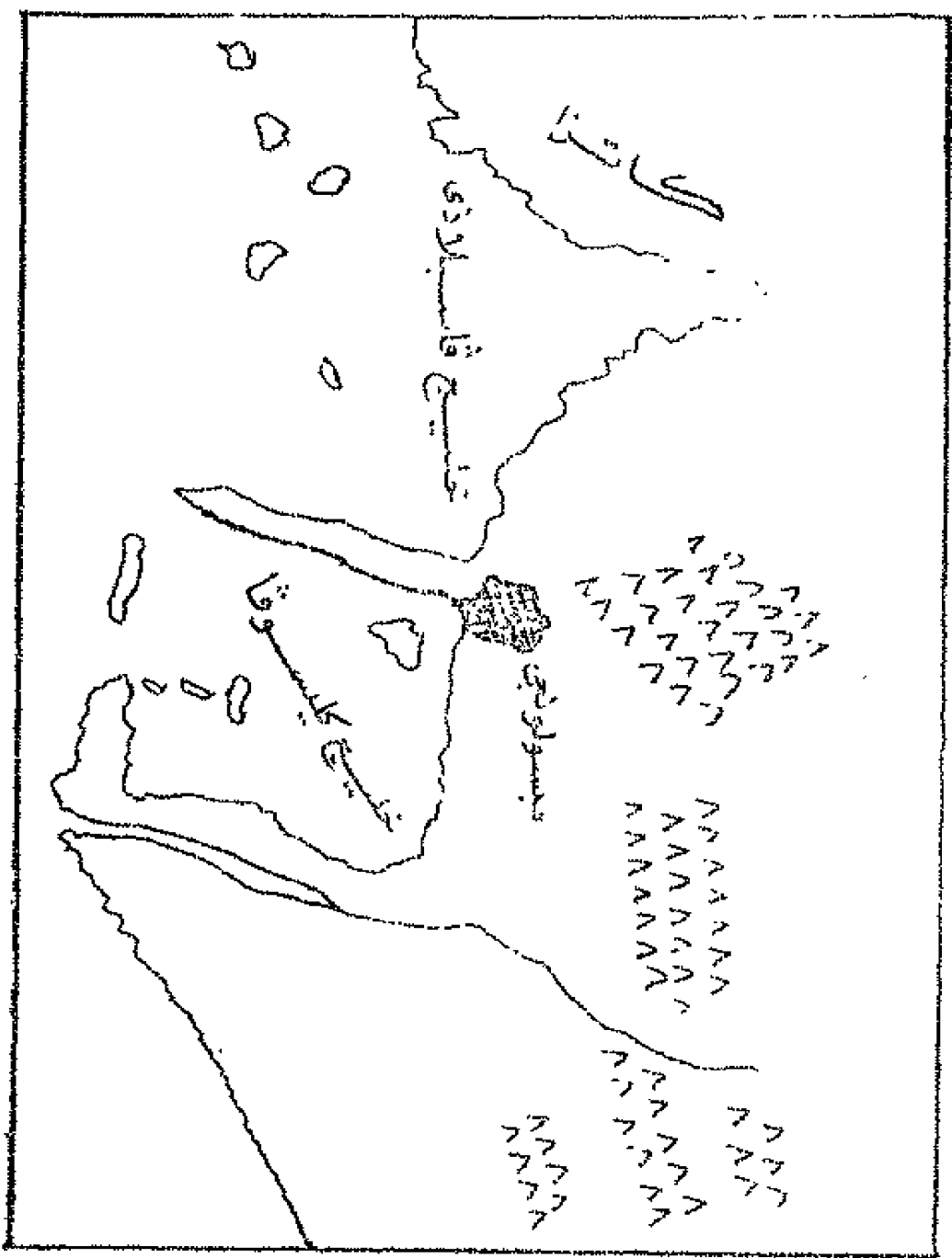
أدى وصول هذا الاسطول العثماني بتلك الصورة المفاجئة الى رواج اشاعات عديدة ، على حد قول المؤرخ الفرنسي المعاصر دوان Douin . مؤداهما ان السية متجهة الى عزل محمد علي عن ولاية مصر ، خاصة وان محمد علي مجرد من جيوشه عاجز حتما عن القيام بأى مقاومة ٠ ومثل ذلك السلوك ومثل تلك المؤامرات لم تكن أمرا مستبعدا عن السياسة العثمانية في ذلك العصر ٠

وايا كان ما أبطنه خسرو فان محمد علي قابل خسرو باشا فور عودته للاسكندرية في ٢٠ أغسطس ١٨٢٥ بكل ترحاب ٠ وتبادل كليهما التحيات والمجاملات والأمانى الطيبات ٠ ثم طلب خسرو باسم الباب العالي من محمد علي تقديم قائمة طويلة مما يحتاجه اسطوله من مال ومؤن ٠ فأمر محمد علي بأعداد كل ما يحتاجه خسرو وتسليمه له فورا ٠

### سقوط ميسولونجى واثينا ٠

عندما رحل خسرو باشا في اكتوبر الى بلاد اليونان افترق الاثنان كأصدق صديقين ولم لا ٠٠٠ ؟ ومحمد علي يقدمه على نفسه في كل تحرك فلا يجلس الا اذا جلس ذاك ٠ واذا شرع ذاك في الوقوف سبقه في القيام وهلم جرا ! ثم ٠٠ لم لا أيضا ٠٠٠ وقد حصل خسرو على جميع قائمته على حساب شعب مصر ٠٠ ثمانون ألف ريال ليدفع منها رواتب رجاله وجنده ، ٠٠٠ وسفن محمد علي الجديدة ، ٠٠٠ وألف وخمسمائة فارس ، وثمانية آلاف جندي ٠

# حصہ اول دیس ولو نی



وهكذا أمكن بفضل هذه الامدادات المصرية وبفضل ضغط ابراهيم باشا على ميسولونجى وحصارها تم تحطيم مقاومتها نهائيا واستسلامها .

ولسقوط ميسولونجى قصة مثيرة تستحق ان نذكرها .  
فقد تولى أمر حصارها واخماد ثورتها أولا القائد التركى رشيد باشا ولكنه اضطر لرفع الحصار عنها فى ١٣ يناير ١٨٢٤ . فأصدر له السلطان أمرا موجزا فى كلمتين « ميسولونجى . . . أو . . . رأسك » . فهاجمها ثانية باستماته فى عام ١٨٢٥ ولكن بلا جدوى . وعندئذ استنجد السلطان بابراهيم باشا .

وأهمية ميسولونجى انها تعد بحق عاصمة اليونان الغربية بالإضافة الى انها تقع على مقربة من الفتحة الشمالية لخليج لىبانت . وكانت لموقعها الممتاز ، مركزا لتجميع مهمات القتال وللاتصال بالمراكز الأوروبية واللجان المتعاطفة مع ثوار اليونان .

سار ابراهيم على رأس ١٨ أورطة تعدادها عشرة آلاف مقاتل . وخمسمائة فارس الى باتراس . وعبر الخليج فى فبراير ١٨٢٦ ، بعد ان ترك جنوب اليونان ( الموره ) تحت قيادة الكولونيل سيف الذى اتخذ تريبولتزا مقرا له .

اشترك ابراهيم ورشيد باشا فى حصار ميسولونجى . وتظاهر الثوار بالانسحاب فسارعت القوات المصرية الى مطاردتهم حيث وقعت فى فخ منصوب عبارة عن منطقة بشت فيها الألغام الأرضية ، مما كبدتهم خسائر فادحة خلال اجتيازها ثم فى المعركة التى دارت عقب ذلك ، قدرت بثلاثمائة قتيل .

قرر ابراهيم بعد ذلك الاكتفاء بإحكام الحصار حول ميسولونجى لتجويعها وارغامها على الاستسلام . فأحكم قبضته على جميع المنافذ البحرية التى أهمل أمرها رشيد باشا . وازاء ذلك اتفق

المحاصرون مع القائد اليونانى كرايسكاكى ، وكان معسكرا قرب المدينة ، على مهاجمة الجيش المصرى فى ليلة ٢٢ ابريل ١٨٢٦ من الخلف ، حتى ينشغل بأمره ، مما يتيح لهم فرصة الافلات . ولكن فرقة مصرية وضعها ابراهيم على قمم الجبال المجاورة للمدينة كشفت هذه المخططة . وبينما تصدى ابراهيم لجيش كرايسكاكى ، صبت تلك الفرقة نيرانها على المتسللين فاضطروا الى الارتداد للمدينة دون نظام . فلاحقت بهم القوات المصرية ودخلت المدينة فى أعقابهم .

وعندما ضاقت السبل بالبقية الباقية من سكان المدينة ، اجتمع فى مستودع للدخيرة نحو ألفى فرد بين شيخ وطفل وامرأة ، واتفقوا على ائثار الموت على التسليم . وأشعلوا البارود فانفجر المكان بمن فيه . أما المصريين فلم تقل خسارتهم عن ألفى رجل خلال ذلك الهجوم .

وعقب سقوط ميسولونجى أصبح الطريق الى عاصمة اليونان العريقة ، أثينا ، مفتوحا . فتقدم اليها جيش مشترك وعجز القائد اليونانى كرايسكاكى والفرنسى فافيه عن نجدتها . فلجأ الثوار الى الاحتماء بمرتفعات الاكروبوليس ولكنهم اضطروا للتسليم فى يونيو ١٨٢٧ مقابل عهد بالحفاظ على آثارهم الاغريقية .

أصبحت حالة التوار بعد ذلك داعية لليأس . وتركزت حركتهم فى نوبلى بالمورة وفى جزيرة هيسدرا القريبة من أثينا . وأصبح من الواضح فى نظر الدول الأوروبية التى كانت تتبع أحداث اليونان ، ان العامل الرئيسى الذى قلب ميزان القوى فى وجه الثورة ، لم يكن الا التدخل المصرى والجيش المصرى ، بعد أن فشل الجيش العثمانى فى اخمادها على مدى السنوات العديدة السابقة .



## الفصل السادس

---

### مصر والسياسة الأوروبية





## مصر والسياسة الأوروبية

أدرك محمد علي بعد انتصاراته في بلاد العرب أولا ثم في كريت واليونان ثانيا ، بما يمكن أن يكون له ولمصر من وزن دولي اذا استطاع أن يلعب على ساحتها بما لديه من أوراق . ورأى أن يبدأ بزيادة قواته البرية النظامية لكي تصل الى مائة ألف جندي فور انتهائه من اخماد ثورة اليونان . . . وأخذت « الأحلام تراود محمد علي » على حله تعبیر المؤرخ البريطاني هودويل بمد تفوذه عبر دجلة والفرات . ونراه يخاطب مبعوثا فرنسيا بقوله ان السيف قد وفر له القوة « . . . واني بلا شك اكون ناكرا لجميله لو لم استخدمه ثانية في خدمة الدولة العثمانية وفي سبيل انقاذها » . ولكن الفرنسي تنسأل عما يكون عليه موقف انجلترا من آماله تلك ؟ « . . . فهل سيشركون لك فرصة لتحقيق ما تصبو اليه ؟ » .

كان من الواضح في رؤية محمد علي بل وفي رؤية جميع الساسة ، أن القوة الكبرى ذات التأثير الكبير على الأحداث لم تكن الا بريطانيا . ولم يكن من السهل على محمد علي تحقيق أحلامه

ومشروعاته ان لم يتفاهم مسبقا مع بريطانيا . ويرى دودويل ،  
ولعل في رأيه جانب من التحيز لوطنه ، ان التفاهم مع انجلترا  
يتعذر التوصل اليه بحيث يكون ايجابيا دون أمرين ، فلابد ان  
يكون لمصر أولا كيان سياسى دولى معترف به يعيدا عن التبعية  
لتركيا ، ولابد ثانيا ان يكون لدى محمد على ما يساوم به أو عليه .

ما هي الأوراق التى تملكها مصر أو يملكها محمد على  
ما يصلح للمساومة ؟ لعل الورقة الأولى هي أهمية الموقع الجغرافى  
لمصر على طريق الهند . وقد عقد محمد على اتفاقا بالفعل منذ  
عام ١٨١٠ مع شركة الهند الشرقية البريطانية لنقل تجارتهم  
ورجالهم عبر طريق السويس البرى . ولكن بريطانيا فضلت في  
كثير من الأوقات استخدام طريق رأس الرجاء البحرى على طريق  
السويس البرى . اذن ففائدة الطريق البرى أصبح منسكوكا في  
أمرها ، ولم تعد صالحة كورقة للمساومة .

وإذا كان من المتعذر الآن على محمد على ان يتخذ من طريق  
السويس ورقة للمساومة ، فقد وقعت في يده ورقة رابحة يمكن  
اتخاذها أساسا للمساومة . ألا وهي انتصارات مصر وإبراهيم في  
بلاد اليونان التى أثبتت أمام دول أوروبا مدى قوته .

لقد أيقظت ثورة اليونان في أذهان أوروبا والأوربيين الأمجاد  
المظيمة للاغريق وحضارتهم ، كما درسوها في معاهدهم  
التعليمية ، وكما تغنوا بشعرها وتشبهوا بأساطيرها . وتصورت  
شعوب أوروبا وحكوماتها وخاصة في انجلترا ، ان تلك الثورة ما هي  
الا ولادة ثانية للحرية التى نعت من أثينا ومن مدن اليونان .  
ولكن سرعان ما تبين لأوروبا بصفة عامة ولانجلترا بوجه خاص ،  
ان شعارات الحرية التى اشتعلت في بلاد اليسونان بأسرها على  
وشك ان تخبو في بحر من الدماء على حد تعبيرهم . فانتابهم شعور

مؤير بالاحباط مع رغبة عارمة في انقاذ أولئك الثوار البؤساء . .  
وخاصة . بغد ان وصلتهم أنباء مبالغ فيها عن قسوة الأتراك العثمانيين  
وانتشرت الروايات والأقاصيص التي تذكر عن لسان  
إبراهيم باشا ، انه عازم على استئصال شافة الأمة اليونانية  
وتطهير الأرض منهم . وتحت ضغط المشاعر العامة في بريطانيا  
المتعاطفة مع اليونان ، رأى كاننج أن الأمر يتطلب موقفا بريطانيا  
خاصا . فكتب الى قرييه - سفير بريطانيا في استانبول قائلا :  
« ان بيع اليونانيين بيع الرقيق . . والاساءة الى الشعب اليوناني  
العريق . . وتعبئة بلاد اليونان بالمهاجرين من البلاد الشرقية !  
ومحاولة ادخال « قوة بربرية Puissance barbaresque »  
في هذه المنطقة . . . حقائق غريبة في نوعيتها . ولا يمكن السكوت  
عليها أو التغاضي عنها مما سيضطرننا الى تغيير لهجتنا . . ان لم يكن  
أسلوبنا في العمل » .

وحقيقة موضوع الاسرى اليونانيين (١٦) ان الجيش المصري  
المحارب ، تخلصا منهم ومن أمر اعالتهم أو حراسيتهم مع ضعف  
امكانياته التموينية ، فضل أن يرسل عدة أفواج ممن أسروا خلال  
المعارك سواء على أرض الجزر اليونانية أو أرض اليونان ذاتها الى  
مصر . ويقدر عدد من أرسلوا بنحو ثلاثة آلاف بيع معظمهم  
كرقيق . ولقد آثار هذا الحدث بطبيعة الحال ثائرة جيل كان  
ينادي بحاربة تجارة الرقيق . ولعله من الصعب تحميل محمد علي  
أو ابنه إبراهيم المسؤولية الكاملة عن هذا الحدث . ويبدو ان  
التخلص من مسؤولية اعالتهم مع اعطائهم وضعا مناسبا والافادة  
من خبرتهم كانت وراء هذا التصرف من قبل بعض المسؤولين  
الاداريين . بدليل ان معظمهم الحق بالبيوتات الكبيرة القادرة في  
مصر . ولا نقصد بهذا تبرير هذه الواقعة بقدر ما نقصد الى  
وضعها في حجبها الطبيعي بعيدا عن المبالغات . وقد أرسل القنصل

البريطاني مشيرا الى تلك الحادثة ، ومؤكدا ان محمد علي تدخل  
بشخصه وباستخدام أمواله في سسبيل تحرير هؤلاء الأسرى .  
وذكر المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في كتابه « عصر محمد علي »  
ان كثيرين من أولئك الأسرى رفضوا التحرر . وآثروا البقاء تابعين  
لكبار رجال الدولة المصرية . وقد دفع المؤرخون المحدثون تهمة  
استغلال أولئك الأسرى أو اسساءة معاملتهم . وبينوا ما بذله  
محمد علي من مال لاخلاء سبيل من بيع بمصر منهم ورده الى بلاده .  
وأشادوا بحسن معاملته لليونانيين المقيمين بمصر بصفة عامة في  
أدق الظروف .

وكيفما كان الأمر فان ما أشيع في أوروبا من ان أحفاد  
الشعب الاغريقي العريق سيباعون باجمعهم بيع الرقيق ، لعب  
دورا هاما في دفع القوى الأوروبية للتخلي عن موقفها السلبي وفرض  
عليها مزيدا من التدخل .

وكان من العوامل المساعدة على ذلك ان بحارة اليونان  
المشاركين في الثورة لم يتورعوا ، بسبب شدة حاجتهم للمال  
والنؤن ، عن سلب السفن الأوربية التي تقع على طريقهم سواء أكانت  
فرنسية أم نمساوية أم بريطانية . ولما كانت الدولة العثمانية  
عاجزة تماما عن ردعهم .. كان لزاما على القوى الأوروبية ان تتخذ  
موقفا ايجابيا ما لتضمن على الأقل .. سلامة تجارتها وطرق  
مواصلاتها .

ان احداث الثورة اليونانية كما رأينا والملابسات التي أحاطت  
بها وانبتت عليها لفتت نظر القوى الأوربيية الى تلك البقعة  
وما يجري بداخلها . وكان على كل من تلك القوى أن تتخذ خطا  
سياسيا خاصا بها يتفق مع مبادئها أو سياستها أو مصالحها .

ولكن أين هو موقع مصر وحاكمها محمد علي من خريطة السياسات والصراعات الأوروبية . وهل من سبيل يستطيع اتخاذه ؟ أو ثغره يمكنه ان ينفذ منها ؟ لاستغلال ذلك التنافس الواقع بين الدول الأوروبية ؟ بل والصراع القائم بينها ليلعب من خلاله بأوراقه . ويساوم بها وخاصة بريطانيا باعتبارها أكبر قوة أوروبية . وذلك لصالح مصر وطموحاته من أجلها ومن أجل مصلحته الخاصة .

لقد اتفقت سياسة كل من النمسا وانجلترا وقطبيها السياسيين اذ ذاك مترنيخ وزير النمسا وكاسلريه ١٧٥٠ ، ثم كاتنج وزيرا خارجية انجلترا على التوالى ، ٠٠ اتفقت سياستهما فهي أسسها وخطوطها الجوهرية نحو المسألة اليونانية ، على أساس أنها ثورة داخلية محلية تدخل ضمن شئون الدولة العثمانية الداخلية . ومن ثم فمن واجب الدول العظمى تطبيقا لقرارات مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ان تمنع أى دولة خارجية من التدخل لصالح الشوار ، وخاصة اذا كانت تلك الدولة هي الدب الروسى . ولذا فان النمسا قبعمت على حدود روسيا متيقظة للحيلولة بينها وبين أى محاولة منها لتحقيق أطماعها عن طريق التدخل لصالح اليونان . بل ان جيوش النمسا أخذت موقفا متحفزا ، للقفز على روسيا اذا ما حاولت تلك الاشتباك مع الدولة العثمانية ، دفاعا عن الشوار اليونان وما يتعرضون له من مذابح واضطهاد . وكان من حق ارسطراطية النمسا ، ومن حق نبلائها وبناتها الامبراطورى ، ان ينظروا الى الحركة اليونانية القومية باعتبارها مرضا أو وباء يخشى انتشاره أو تفشيه فى سهول الدانوب ، مما قد يؤدي لانهايار امبراطوريتهم وتفككها .

وكان مترنيش يتزعم اذ ذاك سياسة الحفاظ على الملكيات  
والامبراطوريات الشرعية . ويعارض جميع الحركات التحررية  
للسعوب والقوميات الوطنية ، ادراكا منه لهذه الحقيقة : فمن  
المعروف ان امبراطورية النمسا ، حوت في داخل حدودها عديدا  
من القوميات التي تختلف عن العنصر النمساوي في الأصل واللغة ،  
مثل المجر والسلاف والكروات والألمان . وجميع تلك القوميات  
كانت تتحين الفرص بدورها للانفصال عن الامبراطورية النمساوية  
والاستقلال بذاتها الأمر الذي سيتحقق فيما بعد .

أما الوضع في بريطانيا فكان يخالف تماما أوضاع النمسا .  
اذ انها كانت تتمتع بحياة قومية ناضجة ، لايشوبها الخوف من  
ظهور قوميات محلية متعارضة معها . فالقومية الايرلندية أمكن  
احتوائها . والقومية الهندية لم يكن قد قدر لها ان تستيقظ من  
سباتها بعد . ولما كان التعليم السائد في بريطانيا اذ ذاك يهتم  
بالدراسات الكلاسيكية القديمة ، الاغريقية والرومانية ، مما شبع  
البريطانيين بروح الاعجاب بالحضارة الهلينية . ولما كانت الحياة  
البرلمانية الديمقراطية قد نمت فيهم حرية الرأي والقدرة على  
التعبير عنه بشجاعة . فقد أظهروا تعاطفا كبيرا مع تلك القومية  
الصغيرة التي كانت تناضل بلا أمل من أجل حريتها . وعندما مات  
الشاعر البريطاني العاطفي بيرون في ميسولونجي . . . ، شهيدا  
للحضارة الهلينية . . . ، كما اذيع عنه اذ ذاك ، طغت على  
أحاسيس الانجليز موجة عارمة من التأثر والتعاطف مع أحفاد  
الاغريق . وتغلبت تلك الموجة على كل شيء ، وأزاحت أمامها أي  
تمسك بمبدأ أو قاعدة سياسية ، وعمت الصحف والمجتمعات  
والطرق . ولم يحاول بريطاني أن يقف قليلا ليتحقق من نوعية  
الشوار ، وكم من بينهم يمتون الى تلك الحضارة الهلينية

العريفة ٠٠ : التي لقن شبابهم الاعجاب بها في ردهات اكسفورد  
وقاعات كمبردج \*

وبرغم ان تركيا كانت لاتزال من الوجهة الرسمية الصديق  
الصدوق لبريطانيا ، الذي يتحمل مسئولية تحقيق مبدأ التوازن  
في مواجهة الاطماع الروسية ، نحو منطقة الشرق الأوسط . الا أن  
الشعب البريطاني كان على استعداد لتأييد كاننج عندما اقتنع  
بأهمية الدفاع عن أبناء الحضارة الاغريقية وثورتهم . واشترك مع  
فرنسا وروسيا في محاولة ٠٠٠ وفقا لما أشيع ٠٠ لانقاذهم من  
الفتنة .

ان الاعتقاد الذي سيطر على كاننج هو ان تدخل روسيا  
بمفردها بطريق الحرب ، لتسوية النزاع العثماني اليوناني معناه  
باختصار شديد ، انها ستبتلع اليونان في أول وجبة ٠٠ ثم تركيا  
في الوجبة التالية ٠٠٠ ! ولذا فان انجلترا لم تغفل لحظة واحدة  
ولا طرفة عين عن مراقبة روسيا عن بعد ، حرصا منها على عدم  
استئثارها بالتدخل عامة ٠٠٠ ، أو بالتدخل منفردة ٠٠ بصفة  
خاصة . وذلك حتى لا يصل الدب الروسي الى البحار الدافئة ٠٠ ،  
أى الى منطقة نفوذها وميدان تجارتها في البحر الأبيض ، تنفيذا  
للمخطوط الأساسية للسياسة البريطانية التي وضعها وزيرها  
الداعية بت Pitt الأصفر ، ومحورها الإبقاء على تركيا  
كمحائط مانع في وجه الدب الروسي . فانجلترا اذن ٠٠٠ ،  
ويشاركها في ذلك الى حد ما فرنسا ٠٠ تريان ان الامبراطورية  
العثمانية برغم ما هي عليه من ضعف واحلال داخلي لا تحمل  
للمصالح الأوروبية في الشرق أى تهديد . وانما التهديد الأكبر  
لا ينشأ الا اذا حاولت روسيا الاعتداء على تركيا أو اخترق أملاكها  
للوصول الى البحر الأبيض .



أما سياسة روسيا منذ أوائل القرن التاسع عشر ، ان لم نقل منذ عهد بطرس الأكبر في القرن السابع عشر ، فكانت تتلخص في الزحف البطيء جنوباً صوب سواحل البحر الأسود . فروسيا إذن تضع عينها دائماً على استانبول كهدف نهائي . واتجاهها دائماً الى المياه الدافئة في البحر الأسود والبحر الأبيض ان أمكن . ولذلك فان مظامع روسيا شكلت الخطر الأكبر على السياسة البريطانية والسلام في المنطقة .

ومع ذلك ظل الهدوء والبطء يسودان السياسة الأوربية طوال بقاء الاسكندر الاول ( ١٨٠١ - ١٨٢٥ ) قيصرًا على روسيا . فروسيا تعاطفت فعلاً مع ثوار اليونان ، لأن هناك روابط اجتماعية وطائفية لا ينكرها أحد بينهما . ولكن القيصر ووطن نفسه ، تحت بأمر مبادئ مترنيخ ورغبة الدول الكبرى ، على احترام مبدأ الشرعية الملكية ضد أي حركات ثورية أو انشقاقات داخلية . ولذلك فانه عندما شبت الثورة فعلاً ، امتنع عن تقديم العون الذي طمع فيه الثوار اليونان وأملوا في الحصول عليه. كما ذكرنا سابقاً .

النمسا تزعمت تحت قيادة مترنيخ المناداة بمبدأ الشرعية ومتابعة تنفيذه . لذا هاجمت سياستها وحكومتها أي تحرك قومي أو وطني في أي مكان . واتخذت من جيوشها رقيباً متيقظاً لأي تحرك لصالح اليونان خاصة اذا جاء من قبل روسيا بالذات .

بريطانيا احترمت مبدأ الشرعية بصفة عامة . إلا أنها تعاطفت حكومة وشعباً مع الثوار اليونان . وسعت بجدية لازالة الضغط الواقع على أولئك الثوار ، مع الإبقاء على سياستها التقليدية التي قامت على الاحتفاظ بكيان الدولة العثمانية وسلامتها ، تأميناً لسياستها في الشرق الأوسط والبحر الأبيض .

حكومة فرنسا وقادتها تعاطفوا بدون شك مع محمد علي الذي اتخذ من الفرنسيين الغالبية العظمى من مستشاريه . ولكن أسرة البوربون التي عادت الى عرش فرنسا على اسنة الحراب الأجنبية بعد القضاء على آثار الثورة الفرنسية وبقاياها اتصف موقفها بالتخاذل لعدم استنادها الى تأييد شعبي وغلب الجمود والتردد على سياستها الخارجية . كما اتصفت سياستها الخارجية في كثير من المناسبات بالتبعية للسياسة البريطانية .

محمد علي ، من خلال اتصالات قناصل الدول الأوروبية في مصر به ومن خلال الأحاديث المتبادلة بينه وبينهم . بالاضافة الى تتبعه الدائم ، وبوعى ناضج لمجرى الأحداث العالمية ، كان على ادراك تام لخلاصة الموقف الدولي . ولذلك فانه حاول ان يجعل من حرب اليونان مجالا لصفقة رابحة . . . يساوم بها فيجبر الدول على الاعتراف به وبقوته . فهو اذن لم يشترك في حرب اليونان حبا منه للسلاطان . . ولا كرها لليونان . . وانما ليتخذ منها صفقة أو ورقة رابحة يبادل بها ما هو أفضل منها لمصر وله .



## الفصل السابع

### التحرك الأوروبي



## التحرك الأوروبي

كان من الممكن أن يظل ميزان القوى مستقرا على ما هو عليه لفترة غير قصيرة في البلقان . . وكان من الممكن أن تجسرى مفاوضات بين محمد علي والدول الأوروبية خلال ذلك . ولكن وفاة القيصر اسكندر الأول قلبت الميزان . إذ تولى من بعده قيصر على روسيا شقيقه الأصغر نيقولا الأول ( ١٨٢٥ - ١٨٥٥ ) الذي لم ير من وراء هذا التسوية خيرا يرجى . فعجل بالعمل وفاجأ السلطان العثماني بإصدار خطير تضمن شروطا صارمة على قسمة الانسحاب التام من بلاد اليونان .

خشى كاتنج وزير خارجية بريطانيا أن يحل الروس المسألة على هواهم . فعجل بإرسال الدوق ولنجتون مبعوثا الى روسيا ليؤكد للقيصر تأييد إنجلترا لآرائه . ويبين له انها لا ترى مانعا من منح اليونان استقلالها داخليا مع بقائها تحت سيادة السلطان .

وبناء عليه تم الاتفاق بين روسيا وإنجلترا ثم فرنسا على خطة موحدة . ووقعت في ٦ يوليو ١٨٢٧ المعاهدة المعروفة باسم معاهدة

لندن بين تلك الدول الثلاث . وأهم ما جاء في تلك المعاهدة النص على التدخل أو التوسط بين الدولة العثمانية واليونان لتقرير مصير المسألة اليونانية ، على قاعدة استقلال اليونان الداخلي أو الذاتي مع الإبقاء على السيادة العثمانية ، وجاء بين نصوص تلك الاتفاقية أن تطلب الدول الثلاث الموقعة عليها من الجانبين وقف القتال وتجميد أى تحريك تمهيدا للتوساطة بينهما . فإذا لم يقبلها الباب العالي فى مدى شهر من إبلاغه إياها ، كان لهم تنفيذ ما اتفقوا عليه بالقوة . ويتلخص اجراء القوة المشار اليه فى محاصرة ابراهيم باشا وجيشه الموجود فى اليونان حصارا بحريا بواسطة الأساطيل البحرية حتى يضطر للاذعان .

أرسلت الدول الكبرى مبعوثيها الى الباب العالي ولكن أولئك السفراء لم يحصلوا على غير جواب واحد هو . . . وأن ثورة اليونان مسألة داخلية بحتة ، ليس للدول الكبرى أى شأن بها ، وليس لأى من تلك الدول الحق فى التدخل بشأنها . . .

وفى ١٦ أغسطس ذهب ثلاثة مبعوثين يمثلون الدول الكبرى الثلاث . . . روسيا . . . وانجلترا . . . وفرنسا الى الرئيس أفندى وزير خارجية الدولة العثمانية . وقدموا له مذكرة تحوى وجهة نظر الدول الأوربية الكبرى من المسألة اليونانية ولكنه رفض قبولها .

وفى ٣١ أغسطس ١٨٢٧ أعاد المبعوثون الكرة لثالث مرة . ولكن الرئيس أفندى عقب مناقشة جافة تدل على عدم تقديره للموقف ولعواقبه ، رفض تدخل الدول . ولا نريد التطرق لما دار من حوار طريف بين الرئيس أفندى ومبعوثى الدول الأوربية الثلاث مما هو موجود نقلا عن الوثائق التركية فى كتاب :

George Douin : Navarin

وانما نكتفى بما أسفر عنه ذلك الحوار فى النهاية ، من  
إصرار الباب العالى على رفض أى تدخل من قبل الدول الأوروبية .  
تلك النتيجة التى أدت الى التجهز الدول الأوروبية الى استخدام  
أسد بنود الاتفاقية ألا وهو اعلان الحصار البحرى حول جيش  
مصر بقيادة ابراهيم باشا فى بلاد اليونان .

أما سر اصرار الجانب التركى على رفض الحلول المعروضة  
عليه رغم تهديد الدول الأوروبية الكبرى ( روسيا + انجلترا +  
فرنسا ) فيرجع الى اعتقاده بأن ذلك التحالف الأوروبى كان تحالفا  
هشما غير ثابت . وان الخلاف بين أولئك المتحالفين وخاصة روسيا  
وبريطانيا سرعان ماسيظهر بسبب تضارب المصالح . أضف الى ذلك  
العامل أن مترنيج أيد موقف الدولة العثمانية استنادا الى المبدأ  
المقدس الذى وضعه ألا وهو ضرورة اخضاع ثورات الشعوب ضد  
حكوماتها الشرعية فى أى مكان . وقد وضح أخيرا . أن مبعوث  
النمسا فى تركيا حرض السلطان على الاسراع فى القضاء على ثورة  
اليونان ، حتى يفلق الباب أمام محاولات التدخل من الدول الثلاث  
المتحالفة .

وأدى هذا وذاك الى شدة اصرار السلطان ورجاله على موقفهم  
الرافض . حتى ان السلطان أقسم فى ساعة غضبه . . . ودموعه  
نسيل على خديه . . ليقتلن كل يونانى فى مملكته . . وإذا لم يصد  
هذا الأوربيين . . ليقتلن الأرمن وغيرهم من رعاياه ، بل ليخلطن  
دماء الأقرنج بدماء رعاياه من أهل التمة .

أما محمد على فلم تراود خاطره تلك الأفكار الصبيانية ، فان  
كل ما كان يهدف اليه هو ، تزايد قوته سواء داخل الامبراطورية  
العثمانية أو مستقلا عنها ، اذا سمحت له تطورات الموقف بذلك .  
وخلال ذلك لم يكف محمسه على لحظة واحدة عن تتبع الأحداث



العالمية بعين يقظه . وشعر بتخرج الموقف عندما علم بانضمام  
لورد كوشسارين Lord Cochrane ، أحد رجال البحر  
المعروفين بالبراعة والشجاعة الى الأسطول اليوناني ، كما انه  
قلق ، بكثير من الفهم وبروح أخرى مخالفة لروح الرئيس أفندي ،  
الاعتراضات والتهديدات البريطانية .

والواقع ان محمد علي عسل كثيرا على التقرب من إنجلترا  
حتى قبل قيام الثورة اليونانية . ففي عام ١٨٢٠ كتب سولت  
Salt الى حكومته ليطلب التصريح له بزيارة لنسدن لأسباب  
صحية ، وأيضا لعرض بعض الأمور السياسية فيقول « ان رجلا  
الواعي هنا ( اشارة الى محمد علي ) طلب مني الاتصال بكم لشرح  
أمور هامة لا يمكن تسجيلها أو ايضاحها على الورق » .

وفي عام ١٨٢٦ وصل ستافورد كاننج S. Canning  
سفير إنجلترا في استانبول الى ادراك حقيقة واقعية . وهي ان  
أفضل الطرق لأرغام السلطان العثماني على التخلي عن عناده  
واصراره ، هي الحصول على تأييد باشا مصر . . الظهير القوي الذي  
يرجع اليه والى الشعب الذي يحكمه فضل انتصار الدولة  
العثمانية .

وبناء على ذلك كتب الى سولت ( قنصل إنجلترا في مصر )  
يسأله ، فيما اذا كان الباشا يرى أن الأفضل له الانسحاب من  
الحرب ، والفوز بنصيب من الجزية التي ستفرض على اليونان ،  
وربما ضمن له الانجليز ولاية الشام أيضا وتبعتها لمصر . وقد  
أنكر سولت ذلك وعده أمرا خياليا ، لأنه كان يعتقد ان محمد علي  
يحارب ، مع السلطان عن اخلاص تام ، ولكنه لم يتمالك نفسه من  
الدهشة حين وجد ان العرض لقي من الرجس قبولاً طيباً بل  
وترحيباً . ومن ثم بدأت جلسات حوار . أبدى فيها محمد علي

حصافة طيبة ودهاء بعيدا . اذ بين محمد على أولا وقبل كل شيء ،  
استحالة حصول الانجليز على موافقة الدولة العثمانية على مطالبهم  
من استانبول . . فالديوان العالى يعانى من التدهور الشامل . .  
والسلطان رجل صلب الرأى ضيق الأفق . . « ولكن . . هناك  
وسائل أخرى لبلوغ أمالككم وأمالنا . . ولتحقيق الاتفاق والتعاون  
بيننا . . ولكن ما أود ان أعرفه هو ماهية العروض التى يمكن  
ان تقدمها لى بريطانيا كترضية أو تعويض فى حالة انسحابى من  
العملية . . » ثم يشير محمد على فى شيء من التحايل ، الى ان كل  
شيء سيبقى على ما هو عليه الآن حتى فصل الربيع . فاذا ما قدمت  
بريطانيا خلال تلك الفترة من العروض ما يدل على رغبتها الجادة  
فى كسبه وتعويضه لقبل عرضها والنمس الفرص لسحب القوات  
المصرية من اليونان . ثم يتابع محمد على كلامه مهددا « . . فاذا  
لم يتحقق ذلك فسأعجبى جميع قواى وأستعين بما لى من نفوذ على  
السلطان وأجمع فى يدى القيادة العليا للاسطولين العثماني والمصري  
ثم أضع نفسى على رأس القيادة الحربية فى اليونان وأضع نهاية  
شاملة لمقاومة الشعب اليونانى » .

وقد أدرك سولت ان محمد على يهدف لأمور أخرى تتعلق  
بمصالحه الشخصية . فافبل عليه فى محاولة لسبر غوره  
يسأله عما يريد من بريطانيا . ومع ان الرجسـل أجاب بدهاء  
وبشئ من التواضع المصطنع بانه لايرجو أكثر من الحصول على  
مساعدها وعلى خبرتها ، فى سبيل زيادة قوته البحرية ، بالإضافة  
الى تأييدها له فيما يسعى اليه من امتداد بلا قيود فى بلاد العرب .  
الا أنه لم يرغب عن سولت ، ان الرجل يطوى فى نفسه أمرا أكثر  
أهمية وأكثر خطورة ، ألا وهو تأييد بريطانيا العظمى لاستقلاله  
عن الدولة العثمانية ، اذا تطورت الأمور بعد انسحابه وقرر  
الانفصال بمصر وملحقاتها عنها .

بعد هذا بقليل . وصل الى الاسكندرية سياسى تمسناوى  
قدير ، موفد فى بعثة من قبل مترنيخ وهو بروكش أوسنسكى  
Prokesch Osten . كان غرض النمسا من ارسال هذا  
المبعوث تحريض محمد على ضد الثوار اليونان ، وإقناعه بضرورة  
التعجيل فى ارسال حملة خلال الشتاء للسيطرة التامة على  
اليونان . وهدف النمسا من ذلك تحقيق سياستها القائمة على  
احترام الشرعية الملكية . وذلك بقطع الطريق على روسيا والقوى  
الأوربية اذا حاولت التدخل ضد الباب العالى . لأنه اذا نجح  
محمد على فى اخماد ثورة اليونان زالت التكاة التى يمكن ان تنفذها  
دول معاهدة لندن الثلاث للتدخل . ومن دلائل فطنة ذلك المبعوث  
النمساوى ، انه اكتشف المدخل الذى يمكن منه اقناع محمد على ،  
الا وهو المنفعة والفائدة . فبين له ان استقلال اليونان يعود على  
مصر باضرار كثيرة أولها الخطر المباشر على التجارة المصرية ،  
كما انه حاول اثارة ضد بريطانيا . . فسياسة الانجليز  
وما يقدمونه من نصائح مغلفة فى ثوب ناعم ، لا تهدف الا لاضعافه  
وتحطيم مكانته الكبيرة .

ولم يصمت محمد على ، بل وجدها فرصة لعرض شكواه  
على الباب العالى ، فهو غير راض عن مستوى العلاقات بينه وبين  
السلطان . ولا يوجد لديه استعداد لخدمة الدولة العثمانية التى  
لا تكفى بعدم مكافأته على تضحياته ، بل انها تعمل على استنزافه  
واقامة العراقيل فى وجهه ، بما يشيره خسرو باشا ضده من فتن .  
ودسائس ، فى الوقت الذى تحاول فيه الدولة العثمانية استدراجه  
الى مشاكلها وتوريطه فى عداء الدول الأوربية الكبرى ، الأمر الذى  
لا يعود عليه ولا على مصر بأى فائدة أو جدوى .

وقد حاول بروكش أوسطن أن يطمئن محمد علي من ناحية موقف الدول الأوروبية الكبرى . وأكد له أنها لكثير من الأسباب لن تقدم على التدخل علنا ضد تركيا . . . وأن النمسا بالذات تؤيد الباب العالي ومحمد علي فيما يقومون به لإخضاع الثورة اليونانية . ولكن ما كان محمد علي ليسمح للبعثة النمساوية أن تقنعه ، بالاستمرار في حزب يستحيل التغلب فيها دون توافر النية الطيبة والتعاون الصادق من جانب الباب العالي . . . » فمصر التي تتحمل الآن النصيب الأكبر من أعباء القتال في اليونان وتتولى تموين الجيش وامتداده بكل حاجاته تستطيع إذا انسحبت من تلك الحرب أن تحتفظ بقونها وتكسب نفوذا كبيرا . . . انى لا أرغب الا في مصر . . . ولا أطمح في أكثر من فرصة من الهدوء مدتها عشر سنوات أتمتع فيها بالسلام . . . وانى لكفيل برفع مسنوها بفضل مالها من موارد عظيمة وامكانيات هائلة الى مرتبة الدول الأربع العظمى الأوروبية . . . إنجلترا . . . وروسيا . . . والنمسا . . . وفرنسا فتصبح مصر خامسهم . . . » ثم يقول « ماذا أفيد أنا من بلاد اليونان . . . أو من كريت . . . بل ومن جميع الجزر اليونانية . . . أن كل أحلامي تعيش في مصر . . . فانا أريد أن أعمل فيها ولها ولا أطمح الا في فترة سكون . »

ان النتيجة التي خرج بها المبعوث النمساوى بعد ذلك الحوار الذي تم بينه وبين محمد علي وامتد خلال عدة جلسات ، ان الشخص الوحيد الذي يستطيع اخضاع ثورة اليونان وهو محمد علي لم يعد راغبا في اتمام عمله هناك . ولكن لماذا لم يقتنع ؟ لقد استعان بروكش بكل وسائل الاقناع والاعراء لكي يشجع محمد علي على اتمام دوره : فهو تارة يجده عن نفوذ النمسا لدى الباب العالي . . . ولكن محمد علي يعلم واقعيها ان ذلك النفوذ لم يستطع

تخفيف المؤامرات التي تحاك ضده في استانبول ! ٠٠ وتارة أخرى يحدثه عن عظم موارد الذخيرة التي يمكن تصديرها له من البندقية ٠٠٠ ولكنه يعلم ان هناك موارد أفضل في فرنسا وغيرها من الدول والمدن الأوروبية ٠٠ وأخرى يطمعه في موارد الخشب من الليريا ٠٠ ولكن محمد علي لديه موارد لا تقل عنها من جبل لبنان وبشير الشهابي ٠٠ ثم انه يتعرض لبعض الضغط بالسياسم واجب الولاء للدولة العثمانية وما يقيسه منه الشرق والاسلام من وراء ذلك ٠٠ ولكن هل يستطيع محمد علي أن يؤدي ما يأمله من خدمة الشعوب الشرقية والاسلامية داخل اطار الامبراطورية العثمانية ، بينما ينظر اليه من قبلها بكل ريبة وشك ، وبينما تحاك له من رئاستها المكائد والدسائس الغادرة .

لم يقنع محمد علي اذن بأقوال مبعوث النمسا ٠٠ لا لأنه كان كارها للسلطان ولا زاهدا في القضاء على ثورة اليونان ٠٠٠ ، ولا لأن المغريات التي قدمها له كانت غير كافية أو غير واقعية . وإنما لأنه كان يريد أن يفوز من الأمر بصفقة طيبة ، ألا وهي الاستقلال بمصر عن الباب العالي . وكان يرى في تصوره ان ذلك يمكن ان يتحقق اذا كسب انجلترا الى صفه . وأخذ منها اقرارا مبدئيا باستقلاله . وكيف يحصل منها على ذلك ٠٠ ؟ يتحقق ذلك في رأيه اذا ساومهم على ورقة اليونان ٠٠ ينسحب بالجيش المصري ٠٠ والأسطول المصري ٠٠ والتمن أو المقابل المنتظر هو اعتراف بريطانيا به ، مستقلا على رأس مصر . ولم لا ؟ أليس مثل هذا هو ما تعرضه انجلترا حلا لمشكلة اليونان .

ولكن الرياح لم تأت بما اشتهاه محمد علي ٠٠ مضت الأسابيع دون ان تأتية ردود مطمئنة من جانب الانجليز . وعندئذ انتقل الى تنفيذ الشق الثاني من خطته . ألا وهو تجميع القيادة في يده

وضرب ثورة اليونان ضربة قاضية . وكانت القيادة العليا في تلك الحرب ، مشار نزاع مستمر بين محمد علي والباب العالي منذ عام ١٨٢٤ ، والآن وقد مضى وقت غير قصير منذ انشاء مصر لاسطولها البحري ، وبعد أن أثبت ذلك الاسطول ورجاله كفاءتهم ، لم يعد هناك ما يبرر ترك القيادة البحرية العليا لخسرو وخاصة بعد أن أثبت عدم كفايته ، وقد رمى محمد علي خسرو باشا بالبله والحقق وسوء التصرف ، واتهمه بالخيانة التامة في العمليات البحرية التي جرت حول مسولونجى . وأعلن استئصاله التعاون معه وطلب صراحة سحبه من قيادة الاسطول العليا . ولكن خسرو بقى في منصبه بفضل رضا السلطان عنه وبفضل ما كان له من أنصار في بلاط استانبول وذهبت نداءات محمد علي والحاحه من أجل ازاحته ادراج الرياح .

ازاء ذلك غير محمد علي اسلوبه في التعامل مع الباب العالي فارسل الى استانبول ، ولكن بصيغة الرجاء ، طالبا من السلطان تخفيف أعباء الحرب والقنال ضد النوار اليونان عنه ، طالبا لقاء ذلك الحمل على كتف سواء من الباشوات الذين لم تنضرب بعد واردتهم المالية كما حدث له . وأعلن ان مصر قدمت أقصى ما تستطيع وانها قد استنزفت شعبا وموارد ولا نستطيع ان تقدم أكثر من ذلك ، ومن ثم فهى مضطرة للتوقف . وقد استخدم محمد علي وسيلة التظاهر بالمعجز ليصل الى غرضه دون الاشتباك مع الباب العالي ، وقال محمد علي في حديث له مع قنصل انجلترا : « يجب على السلطان رفع أعباء هذه الحرب عن كتفى . . وان كنت أتوقع منه ارسال أحد رجال بلاطه من ذوى المراتب العليا ليحاول اقناعى بالاستمرار فى الحرب . ولكنى لن أقبل بأى حال من الأحوال ذلك ما لم يقبل طلبى الخاص بخلع خسرو باشا » .

ما الذى يدعو محمد على للدلاء بتلك الاعترافات لقنصل  
انجلترا ؟ هل انصف بالسذاجة ! أو البسطة ! الى هذا الحد .  
توقع ان محمد على يكشف للقنصل بذلك عن رغبته فى الانسحاب  
من الحرب عالياً فنشجع وتنفاهم معه . وفى ذات الوقت يوضح  
له استعداداته للاستمرار اذا استجاب السلطان لطلباته وهكذا  
يمسك العصا كما يقول المثل العاصى من وسطها ، وعلى انجلترا  
ان تسار بين كسبه أو خسارته .

ولكى يضع محمد على أقواله موضع التنفيذ ، أرسل الى  
الشيخ باشا لتجهيد عملياته العسكرية . وادى ذلك الى تزعم  
بركز رشيد باشا وفرقة أمام آتينا . واضطر الباب العالي الى  
ارسال نجدة لمساعدته من قبله . بعد ان رفض ابراهيم القيام  
بهذا . وهنا ادراك الباب العالي جدية محمد على فى موقفه  
وفدائه . ولأنه وجد نفسه منهكا بسبب كثرة حروبه وامتدادها .  
وسعر بعدم قدرته على الاستمرار فى مقاومة الثورة اليونانية  
بالسر . لم يجد بدا من ارضائه . وتحت ضغط الحاجة  
تم تركيا جميع طلباته وأعلنت فى ٩ / فبراير ١٨٢٧ تعيين  
محمد باشا « فيضان باشا » بدلا من خسرو باشا .

ومع استجابة الباب العالي لطلب محمد على نجدة لا يظهر  
فى عجلة فى الأمر . حقا انه بدأ استعدادات واسعة لارسال حملة  
قوية . ولكن حتى منتصف شهر يونيو - أى لما بعد أربعة أشهر  
من استجابة السلطان لطلبه ، بقيت الأساطيل المصرية قابعة فى  
ميناء الاسكندرية . كما انحصرت الامدادات التى ارسلها لبراهيم  
باشا فى أضيق نطاق .

هل ذلك فى محاولة منه لاطهار صدق ما ادعاه سابقا  
للسلطان من استنزاف موارد مصر واستنفاد جهد أبنائها . أم انه

فجسد بذلك اتاحه مزيد من الوقت أمام انجلترا للثفاهم معه ، قبل ان يتورط نهائيا . بارسال الماسد البرى والبحرى . ولعل من دلائل ذلك انه استدعى قنصل انجلترا فى مصر عدة مرات . وفى كل مرة يضغط عليه ويحاول احراجه مطالبيا برد سريع من انجلترا . . . « فانا لا نستطيع تعطيل اسسطولى وابقائه قايما فى الاسكندرية بلا عمل مدى الحياة ا » .

ولم يقف الديوان العالي في استتقبال جامدا أو صامتا إذا  
موقف محمد على السليمي فقد سجل ملاحظاته بشأن عدم حدوث  
أي تقدم عسكري منذ استتجاب السلطان لطلبه . وهذا أتاح  
الفُرصة أمام خسرو باشا لاسترداد مكائته لدى السلطان والعودة  
إلى الأضواء مرة أخرى .

وما كاد محمد على يعلم ان السلطان قد رضى ثانية عن غريمه خسرو باشا ، وأعادته الى مركز الحظوة لديه ، حتى ثار وصخب وأرسل في الحال الى دروفتي Drovetti قنصل فرنسا في مصر ، حيث كشف له القناع عن حقيقة آماله وأهدافه . وفي ذلك يقول دروفتي ان محمدا على حدثه حديثا طويلا عن المتاعب التي يلاقيها من الباب العالي ، ومن وزرائه ، الذين لم يقدرُوا النضحيات البالغة التي قدمها لهم . وانهى حديثه بانهم قوم ناكرون للجميل وان ثقته قد انهدمت في عدل وأمانة الديوان العالي وصدقه . وان عليه الآن ان يحترس وان يأخذ حذره وان يعمل قبل كل شيء على تأمين نفسه ومستقبله في مصر . . . . . وانه - وهو أهم ما جاء في حديثه هذا - قرر منذ الآن السير تبعا للخطة التي لا تتعارض مع سياسة فرنسا ، وان ترتب على ذلك الخروج على الباب العالي والانشقاق عنه . وأعلن محمد على للقنصل صراحة عن استعداده لتنفيذ توجيهات فرنسا في شأن



الموقف من اليونان . خلاصة الأمر وخلاصة الحديث ان محمد علي مستعد لتنفيذ اتجاهات فرنسا - الانسحاب من اليونان - صراحة شرط تأييدها له ومساعدته اذا حاول الباب العالي الانتقام منه .

والآن هل تحول محمد علي حقا عن سياسته الأولى ؟ وهل انتوى الخروج صراحة على الدولة العثمانية . ؟ ان دروفسى بعد ذلك الحديث رأى ذلك وكتب بذلك لفرنسا ولسفير فرنسا في اسطنبول . ولكن الأخير - كيلمينو Guillemiot عارض دروفسى فيما استخلصه من حديث محمد علي . وأرسل عدة رسائل أشار فيها الى أساليب محمد علي الملتوية بحيث لا يمكن التحقق من قرارة ما فى نفسه ولا ما يهدف اليه . ورأى السفير أن محمد علي غير جاد فى ارسال الامدادات البحرية والبرية التى هدد بإرسالها الى بلاد اليونان ، أيا كان موقف الدول الأوروبية . وأنه لم يرد بنداؤه لفرنسا سوى إيقاف تدخلها وتدخل القوى الأوروبية الكبرى ضده بالقوة . . . وأنه على تلك القوى الا تفلت من يدها الآن تلك الفرصة الطيبة المتاحة لها لتحديد الخطة التى ستتبعها ولوضع حد نهائى لمشكلة اليونان . أما بخصوص اعتقاد دروفسى بأن محمد علي يعتزم التسليم باتجاهات الدول العظمى والخروج على الباب العالي . فان السفير يحذره من الذهاب فى الظن الى ذلك المدى البعيد . ويستند فى رأيه ذلك الى ان الباب العالي يستطيع باصداره فرمانا يعلن فيه خيانة محمد علي ، ان يحرمه من المركز العالى الذى بلغه فى مصر وفى الامبراطورية العثمانية وفى العالم الاسلامى بصفة عامة . . . ذلك المركز الذى كان يهم محمد علي الحفاظ عليه . . . هذا هو عين ما كان الباب العالي يتصوره . . . اذ كان يعتقد أن محمد علي لا يستطيع مخالفته جهارا أو المخاطرة



وخلال المداولات والمفاوضات السابقة الذكر بقي الموقف في  
اليونان شبه مجمد . . وبرغم ان القوى الكبرى عهدت الى شيرش  
Church بالقيادة العامة البرية والى كوشرين Cochrane  
بالقيادة البحرية العامة وكلاهما من القادة المشهود لهما بالبراعة  
الا انهما لم يقدموا على أى خطوات ايجابية ومن ثم . . . . بقي  
الميزان لصالح تركيا ومصر في اليونان .

رأى محمد على ان الدول الأوروبية لم تستوعب الى تلك اللحظة  
مقاصده الدفينة ، التي عرض لها بأسلوب مستتر في الحوار الذي  
حار بينه وبين قناصلها ومبعوثيها خلال عدة لقاءات . فلا مفر له  
اذن من التحول من التلميح الى التصريح . وبناء على ذلك استدعى  
محمد على في ١١ / يونيو ١٨٢٧ قنصل انجلترا في مصر ، سولت ،  
وأكد له صراحة رغبته في الاستجابة لطلب الحكومتين البريطانية  
والفرنسية ، ألا وهو الانسحاب من بلاد اليونان . ولكنه اشترط  
ان يتم ذلك بصورة لا تثير شك الباب العالي فيه ولا تغضبه عليه .

وكيف ذلك . . ؟ اقترح محمد على ان ترسل انجلترا  
وفرنسا اسطوليهما وقواتهما الى الاسكندرية بدلاً من  
ارسالهما الى اليونان في مظاهرة عسكرية تمثيلية لارهاب محمد على  
وتهديده . فان ذلك ينيح له المبرر المناسب للانسحاب من الحرب  
ومن اليونان دون اغضاب الباب العالي أو خسارته .

لم يلق ذلك الاقتراح قبسولا من انجلترا أو من فرنسا  
لماذا . . ؟ لاشك ان العامل الاول هو ان الدول الأوربية الثلاث  
انجلترا ، وفرنسا ، وروسيا قد ارتبطت بمقتضى معاهدة لندن  
التي أشرنا اليها سابقا باتفاق محدد له اهداف واضحة وميكان  
معين ينحصر فيه نشاطها هو العمل في منطقة اليونان واحكام  
الحصار من حولها . وليس من السهل احداث تغير سريع لذلك

التخطيط ، بالإضافة الى ما يترتب عليه من جهد اضافي ومن تكلفة .  
ويمكن إضافة عامل آخر ألا وهو تشكك الدول الأوروبية في  
محمد علي وفي مراميه وفيما يضمه دائما من نوايا مستترة . فقد  
اعتمد كثيرا في سياسته في مصر على عنصر الخداع . . . خدع  
رؤساء المصريين ، وخدع الباب العالي ورجاله . . . وخدع المماليك  
. . . فمن يدر بهم بما يكون عليه موقفه اذا رفعوا الحصار عن جيشه  
واسيطوله الرابضين على أرض اليونان وموانئها . . . أليس من  
الوارد أن ينتهز تلك الفرصة ويضرب الثورة اليونانية ضربة  
قاضية ويضع أوروبا أمام الأمر الواقع ويكسب بذلك جانب تركيا  
والسبا وقد يبلغ بذلك تحقيق أحلامه . التي يناشداهم معاونته  
في الحصول عليها . عن غير طريقهم .

وعلى كل فقد تلكا محمد علي في إرسال الأسطول المصري  
المربط في الاسكندرية الى اليونان لأقصى فترة ممكنة ، برغم  
استعجال الباب العالي له ونحريض الفتنصل النمساوي . وأخيرا  
في ٦ / أغسطس ١٨٢٧ ، أي بعد ثمانية أسابيع تقريبا من لفائه  
الصريح مع سولت في ١١ / يونيو . سمح للأسطول المصري  
بالاتجاه الى اليونان . ومن سخرية القدر انه لم يمض على ابحاره  
يومين حتى وصل مبعوث بريطاني في مهمة خاصة . ذلك المبعوث  
هو المajor كرادوك Major Cradock مرسلا من قبل  
كاننج وزير خارجية بريطانيا لابلاغ محمد علي بصفة رسمية بقرار  
الحلفاء ( روسيا + فرنسا + إنجلترا ) وفقا لمعاهدة لندن التي  
وقعوها في ٦ / يوليو ١٨٢٧ ولاقناع الباشا بضرورة الانسحاب  
من اليونان . . . ولكن . . . بلا شروط . . . ولا قيود !

أعلن هذا المبعوث خلال مقابلته لمحمد علي أن الدول الأوروبية  
التي وقعت على معاهدة لندن ، قررت بصفة حاسمة عدم التدخل

الى بجانب تركيا ضد النوار اليونان . وانها على أنم استعداد لارسال قوات كبيرة الى الليفانت ( شرق البحر الأبيض ) لتنفيذ قرارها . بالقوة ، اذا حاولت تركيا مقاومة قرارها . واستمرت في عملها : العسكرية لضرب الحركة الاستقلالية في اليونان . وان صدامها يقع بين الدول الكبرى وتركيا أو بعبارة أصبح - من الوجهة الواقعية - بين الدول الكبرى وجيش مصر وأسطولها ، قد تكون فيه نهاية آمال محمد على وأحلامه ، بشأن التوسع في التجارة وتعزيز قوته العسكرية وأسطوله البحري .

هذه هي خلاصة الرسالة التي كلف بإبلاغها لمحمد على المبعوث البريطاني . وفي رأى كاننج وزير خارجية بريطانيا ، كما جاء في التعليمات التي حملها كرادوك ، ان هذا التلويح أو التهديد المستتر فيه الكفاية لكبح جماح محمد على وطموحاته العديدة . خاصة وانه لا يضمم ولاء خالصا للباب العالي وليس له اتجاهات دينية أو طائفية واضحة .

وبرغم ان كرادوك نصح في الوقت المناسب بتجنب اسلوب التهديد مع محمد على الا أن بعثته لم تقابل بارتياح منه . لماذا ؟ لعل فيما جاء في تعليق سولت عن تلك البعثة خبر جواب على ذلك التساؤل . اذ يقول ان البعثة طالبت باتخاذ موقف حيادي أى بعبارة أوضح الانسحاب من اليونان . الأمر الذي يوقعه حتما مع الباب العالي ورجاله ويعرضه لغضبه وربما لعزله أو لقياسام حرب بينهما ، دون ان تقدم له تعويضا مناسبيا لتلك التضحية .

عقد محمد على عدة جلسات للحوار على مدى أسبوع جرى خلالها نقاش اتصف بالتحرد والصراحة . من ذلك ان سولت نصحه بانتهاز فرصة اتصال الحكومة البريطانية المباشر به لكي

يحدد لها موقفه النهائي بكل صراحة . وكان الباشا على وجه العموم مثالا طيبا للدبلوماسى المرن . اذ أبدى خلالها استعدادة للتنازل عن بعض أفكاره أو طلباته ، وصولا الى اتفاق مناسب مع الدول الكبرى وخاصة بريطانيا .

كان بين أقوال محمد على خلال الاجتماعات التى أشرنا اليها ، والتى عقدها ورجاله مع بعثة كرادوك ومعظمها تم بحضور سولت :  
« . . انى راغب منذ وقت طويل فى صداقة انجلترا وفى قياس حلف تجارى بينى وبينها ويجب عليها ان تدرك ان مصلحتنا مشتركة وان من واجبها الوقوف بجانبى . . . » وكان مما أجاب به سولت ردا على ذلك . . ولكن تعبيرا عن رأيه الشخصى : « . . ان انجلترا لن تتخلى عنك عندما يجرى الوقت المناسب . . اذا وقفت الى جانبها واسنحبت لما تطلبه . . » وعندئذ اندفع محمد على فى سرد أفكاره . . وأضساء وجهه . . طبقا لما جاء فى وصف بعض الحاضرين للحوار . . وبرزت عيناه . . وهو يقول « ان سوريا . . ودمشق . . وبلاد العرب . . خاضعة لى . . فإذا وجدت تأييدا من حكومتكم . . كما أرجو وأتمنى . . وإذا اعترفت بى عندما تأتى الفرصة المناسبة . . كأمر مستقل . . فانى سأكون راضيا ومتعاوننا . . » .

والبانا لصدق نواياه أصدر أمرا فوريا لابراهيم باشا بإيقاف جميع العمليات العسكرية للجيش المصرى وللأسسطول وبخاصة ما تعلق منها بالتقدم نحو جزيرة هيسدرا Hydra ، وذلك لحين اصدار تعليمات أخرى . وكما جاء فى الأمر فإنه رأى اتخاذ ذلك الموقف « ارضاء » لانجلترا . . وكسبا لها الى جانبه . .

وعندما أبلغ محمد على أعضاء البعثة الانجليزية بأن مصر أوقفت عملياتها العسكرية في اليونان ، أكد له أعضاء بعثة كرادوك أنه يستطيع الآن الاطمئنان الى حسن تقدير إنجلترا لموقفه هذا .

وفي حديث جانبي عبر كرادوك لبوغوص بك - وكان بمثابة وزير خارجية مصر خلال عهد محمد علي - عن رأى شخصي له مضمونه ان مصر تستطيع كسب اهتمام السياسة البريطانية بها لو استطاعت الابتعاد عن تبعيتها للباب العالي .

وهكذا انتهت تلك المحادثات التي أوضح فيها كل جانب طلباته ورغباته صراحة . ولكن دون الوصول الى نتيجة واضحة أو اتفاق محدد يوضح موضع التنفيذ . وان وضح مما سبق ان إنجلترا لم يكن لديها اعتراض على استقلال مصر عن تركيا ، أسوة بما تتمناه لليونان ، اذا تم ذلك على يد محمد علي وبقيادته على ان يكون ذلك دون مساعدتها أو تدخلها . بينما كان محمد علي يريد العكس . . . أى يريد الحصول على تأييد إنجلترا وتدخلها تمكيناً له من الابتعاد بأي صورة من الصور عن التبعية لتركيا .

ولا شك ان محمد علي كان كالواقع بين شقي الرحا . . فهو اذا أراد ارضاء الباب العالي كان عليه الاستمرار في قتال ثوار اليونان . . . وهنا قد يخاطر بجيشه وأسطوله اذا واجها القوى الأوروبية المتحالفة . واذا أراد ارضاء إنجلترا وفرنسا ، كان عليه الانسحاب من اليونان . . . وهنا قد يخاطر بالتعرض لغضب الدولة العثمانية والخلافة العثمانية معنوياً وعسكرياً . . . دون حماية أو مساعدة مؤكدة من قبل إنجلترا وفرنسا . وبعبارة أخرى هو

لا يستطيع الانجياز لفريق دون ان يكون عرضة لسيط الفريق  
الآخر . . وهذه هي نقطة الحرج الكبرى في موقف محمد علي .

وكان المؤسف حقا في أمر بعثة كرادوك انها لم تصل  
للاسكندرية في الوقت المناسب حتى تستطيع اقناعه بعدم ارسال  
الأسطول المصري والتعزيزات الاضافية الى بلاد اليونان حيث  
لقيا حتفهما (١٨) .

وفي الخامس من اكتوبر / ١٨٢٧ عزم محمد علي على آسماع  
الباب العالي صوت العقل والحكمة فبعث الى ممثله في استانبول  
طالباً منه توضيح الموقف للمسؤولين في الديوان العالي « . . فقد  
تكون تهديدات الدول الكبرى وانذاراتها . . كما يرى السلطان . .  
طبلا أجوف . . ولكن أليس من الوارد ان تكون جادة فيهما . .  
ولو ان الأساطيل الأوروبية المشتركة اشتبكت مع أساطيلنا فانهى  
لا أنوقع لها الصمود أمامها . . فضلا عن أن مثل ذلك الاشتباك  
سيؤدى الى فقداننا عددا يراوح بين ٣٠ - ٤٠ ألف جندي ويحار  
نحن في أشد الحاجة اليهم وإلى انقاذ أرواحهم . . أما القول باننا  
نضع كل اتكالنا على الله وهو يجرى . . فلا يكون الا بعد قيامنا  
بالواجب واعداد أقصى ما يمكن من استعداد في مثل هذه الأمور  
العسكرية » .

ولم يكتف محمد علي برسالته تلك للباب العالي ، ففي  
الثامن من اكتوبر ١٨٢٧ ، أى بعد ثلاثة أيام أرسل الى ابنه  
ابراهيم ، « . . لو كان القتال بيننا وبين اليونان فقط لما منعتك  
من مواصلة القتال . . ولكن حيث ان الأمور تطورت بحيث أصبح  
علينا ان نواجه الدول الكبرى . . فيجب علينا ان نأخذ جانب  
الحذر . . فان استمرارنا في القتال لايعنى احتمال ضياع أسطولنا

وخسارة ما لا يقل عن ثلاثين الى أربعين ألفا من جنودنا وبحارتنا فقط . بل انه قد يعنى تدهور علاقتنا مع الدول الأوروبية الكبرى تدهورا نهائيا . . والموقف الذى أطلب منك اتخاذه غير صادر عن خوف أو تخاذل . . لأنه ليس من الحكمة ان نعساذى ثلاث قوى كبرى ونحاربها » . ثم طلب محمد على من إبراهيم باشا تحاشى الاحتكاك بالقوات الأوروبية . . وعدم تنفيذ أوامر السلطان اذا تضمنت الاستمرار فى القتال ، مع الالتزام بتنفيذ أوامره الشخصية حرفيا .





## الفصل الثامن

---

### معركة نفارين البحرية



## معركة نفارين البحرية

لم يكن محمد علي برغم استعداداته لتقبل الحلول السلمية ،  
بغافل عن أهمية تعزيز موقف مصر وقوتها في بلاد اليسوتونان .  
وهكذا وصل المدد الاضافى الذى اعدده ، الى ميناء نفارين في ٩  
سبتمبر ١٨٢٧ . وكان مكونا من ٤٦٠٠ مقاتل على ظهر ٤٠ نقالة  
فى حماية اسطول مصرى بقيادة محرم بك مكون من ١٨ سفينة  
مصرية ، ١٦ سفينة تركية ، ٤ سفن تونسية ، ٦ حراقات ، وانضم  
الى هذه القوة مدد تركى قدم من الاستانة بقيادة طاهر باشا على  
ظهر ٢٣ سفينة .

ساء الحلفاء بطبيعة الحال وصول امدادات مصرية وتركية الى  
نفارين . وحدث لسوء الحظ ما توقعه محمد علي اذ ظهر على مسرح  
شبه جزيرة اليونان قادة الاساطيل الحربية الثلاثة الانجليزية  
والفرنسية والروسية . ولعل أبرزهم اندفاعا فى تحركاته التلقائية  
هو قائد الاسطول البريطانى كودرينجتون Codrington . وقد  
استطاع أولئك القواد احكام حصارهم حول اليونان ، واحسدات

فوق من الرقابة والضغط على تحركات الاسطولين المصري والتركي ، وخاصة في منطقة تمركزهما بنفارين . الأمر الذي رفع معنويات الثوار اليونان . وأتاح لهم مزيدا من القدرة على المقاومة والصمود .

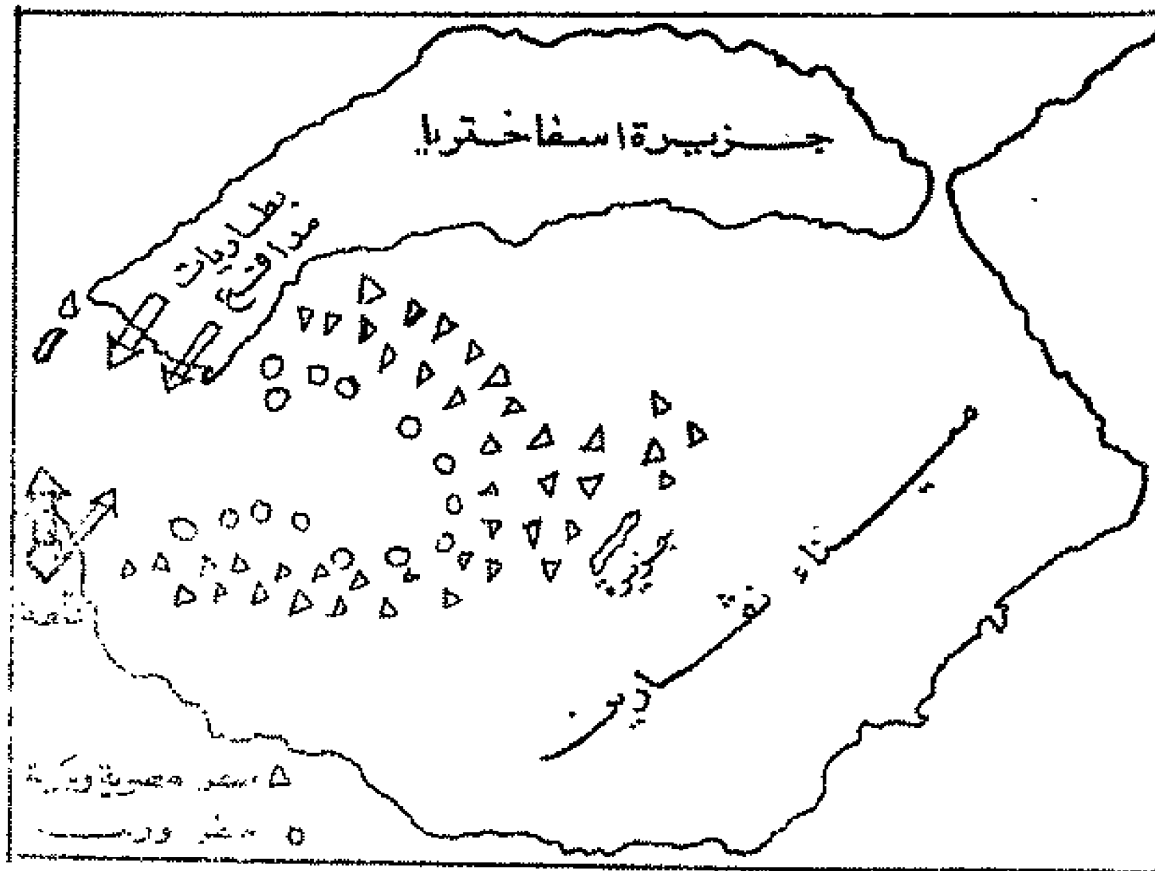
في يوم ٢١ سبتمبر ١٨٢٧ قابل أميرال البر الفرنسي ، دي رينييه ، ابراهيم باشا . وأبلغه رغبة الحلفاء ( انجلترا + فرنسا + روسيا ) في اعلان هدنة تتوقف خلالها جميع العمليات العسكرية لحين الوصول الى تفاهم بين المسؤولين على المستوى الأعلى في دول الحلفاء وبين سلطان تركيا ومحمد علي وفي ذلك كما أشار رينييه « ... الحفاظ على والدك ومكانته ... والنهضة التي أحدثها ... » وخاصة أنه رجل مسنن الآن ومختلف عما كان عليه في أوائل ولايته : ولعل مصر الغنية أفضل لكم من اليونان وجزرها الحربة . »

وقد جاء رد ابراهيم صريحا : « ... ان لدى كل ما يلزم لاختتام الثورة اليونانية ولضرب جزيرة هيدرا ضربة قاضية وهي الوكر الأخير للحراقات اليونانية » . وقبل أن ينهي دي رينييه تلك المقابلة أوضح بصورة قاطعة ، ارتباطه مع كودرينجتون باتفاقي على منع الاسطولين المصري والتركي من التحرك في أي اتجاه ، عدا الاتجاه نحو الدردنيل أو الاسكندرية .

ازاء ذلك تم التفاهم على ألا يقوم ابراهيم باشا بتحركات أو عمليات جديدة ، الا بعد أن يتسلم من الباب العالي أو محمد علي أمرا رسميا بذلك . مع بقاء اسطوله بنفارين في حالة تجمد تام .

في ٢٥ سبتمبر زار الأميرال البريطاني كودرينجتون والفرنسي دي رينييه ابراهيم باشا زيارة أخرى شبه ودية . أكد الاثنان خلالها على ضرورة الحفاظ على اتفاق الهدنة . وعلق كودرينجتون على تلك الزيارة بأن الانطباع الذي خرج به منها يتلخص باختصار ، في أن

## معركة ناعشارين البحرية



ما وعد به ابراهيم باشا وما أبداه أمامهم من رغبة في تنفيذ الهدنة لم يكن الا نظائرا .

اما عن العرض الذي تقدمت به الدول الكبرى لتوار اليونان لانهاء القتال ، فأهم ما جاء فيه هو أن يقرروا ويعترفوا بالسيادة التركية ، مع حصولهم على الاستقلال الذاتي . وقد حاز هذا العرض قبول التوار . ولكن الباب العالي رفضه رفضا قاطعا ونهائيا .

وعلى كل فقد أدى إيقاف ابراهيم باشا للعمليات العسكرية في اليونان . بالاضافة الى ارتفاع معنويات الثوار اليونان وامكاناتهم بفضل التعزيز العسكري والمعنوى للقوى الأوروبية ، فضلا عن المتطوعين الذين ندفقوا من أنحاء أوروبا على بلاد اليونان ، وبينهم سابقا على سبيل المثال التساعر البريطاني المعروف لورد بيرون . . . أدى ذلك الى انتهاز الثوار لفرصة السكون الذي صممه الهيدنة واستغلاله في القيام بنشاط واسع في خليج كورنت . فحاصروا جزيرة كريت ونجحوا في ابادنة حامية عثمانية . وترتب على ذلك النشاط تخرج مركز القوات المصرية في باتراس Patras

وهنا رأى ابراهيم أن يتحلل من ارتباطه بالهدنة . حيث ان الثوار اليونان لم يلتزموا بها . كما أنه لم يتلق ردا من كودرنجتون عندما لفت نظره لذلك . ومن ثم أبحر الى باتراس في عمسارة من بعض السفن الحربية الخفيفة .

اعتبر فواد الحلفاء ذلك التحرك بمثابة نقض للهدنة . ولحق الأميرال كودرنجتون واسطوله بابراهيم باشا حيث التقى به أمام رأس ياباس على مقربة من باتراس . ورأى ابراهيم أن الحكمة تقتضى منه الرجوع الى نفارين تجنبيا لامتنباكات ، حذره أبوه من التورط فيها . وقد لا تتفق مع السياسة العليا خاصة لمصر .

ولكن موقف القسوات المصريه فى بانراس ازداد نحرجا اذا  
ضغط النوار . ونظرا لاستحالة خروج ابراهيم بالاسطول الرئيسى  
لمصر حيث طوقت أساطيل الحلفاء ميناء نفارين ، لم يجسد ابراهيم  
سبيلا لنجدة القوة المصرية وانقادها الا بالزحف عن طريق البر على  
رأس جانب من جيشه . وأصدر تعليماته للأميرال محرم بك قائد  
الاسطول المصرى ، والأميرال طاهر باشا قائد الاسطول التركى ،  
بعدم التورط فى أى اشتباك أو احتكاك مع الأسساطيل الدوليه  
المرابطة خارج نفارين .

وعندما علم قادة الحلفاء بمغادرة ابراهيم لنفارين أرسلوا له  
بما يفيد انهامه بنقض الهدنة المنفق عليها . ولكن هل كان على  
ابراهيم أن يلتزم بتنفيذ تلك الهدنة من دون الثوار ؟ ولماذا  
لم يمارس أولئك القواد ضغوطهم على النوار ، للزامهم بالتوقف عن  
التحركات العسكرية ، كما الزموا ابراهيم بذلك . وعلى كل فان  
رسالة قادة الحلفاء البحريين لم تصل ليد ابراهيم ، حيث كان كما  
ذكرنا متغيبا عن نفارين .

اتفق قواد الاساطيل البحرية التابعة للحلفاء ، على دخول  
ميناء نفارين لارغام ابراهيم باشا على العودة . وفى ١٩ أكتوبر  
١٨٢٧ اجتمعوا مرة أخرى بكودرنجتون على ظهر بارجنس أسا .  
لتأكيد الاتفاق العام ولاعداد خطة دقيقة لعملية عسكرية يمكن  
انباؤها فى حالة الاشباك .

القائدان البحريان محرم بك وطاهر باشا اتخذا موقفا خاليا  
من الحكمة . لعل أقل ما يقال فيه انه بعيد تماما عن أصول الفن  
العسكرى ، فضلا عما به من جمود وسلبية ، وكل ذلك استنادا الى  
اعتقادهما فى توفر النوايا الحسنة ، أو بعبارة أخرى فى تصورهما  
استحالة حدوث اشتباك أو قتال خلال الهدنة المنفق عليها . وأكرر



من ذلك انهما لم يحاولا اتخاذ موقف الاستعداد لمواجهة أى طارىء، وهو أضعف الايمان .

أما أساطيل الحلفاء فقد تاهبت فى العساشرة من صسباح ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ لتنفيذ الخطة التى أعدها قادتهم . وفى منتصف الساعة النانية مساء ، أصدر كودرنجتون أمره ، منتهزا فرصة هبوب رياح شرقية مناسبة ، باقتحام البوغاز .

وبدلا من أن ينصدى الاسطولين المصرى والتركى لأى سفينة نحاول اختراق البوغاز . . . . . وبدلا من أن تتولى مدافع القلاع على جانبى البوغاز أمر اغلاقه ، وهى كفيلة بذلك . اكتفى الأميرال محرم بك بمناصرة كودرنجتون ايقاف السفن المتقدمة لاختراق البوغاز . وبطبيعة الحال لم يرد كودرنجتون ازاء هذا التخاذل بأكثر من أنه لم يأت لىلقى أوامر وانما لالقاء الأوامر .

اصططت سفن الحلفاء التى اخبرقت البوغاز على شكل نصف دائرة . الاسطول البريطانى فى الوسط والاسطول الفرنسى على يمينه والروسى على يساره . واقتربت جميع تلك الأساطيل ، فى نحد سافر واستفزاز واضح من الاسطولين المصرى والتركى وخاصة من سفينتى القيادة بهما .

المركة ذاتها ابتدأت فى منتصف الناللة مساء واستمرت حتى الخامسة وكان من الواضح منذ البداية أن الزمام قد أفلت من يدى الفائدين الشرقيين . وكودرنجتون نفسه علق على الموقف بأنه كان من الممكن أن تواجههم . أى أساطيل الحلفاء ، صعوبة كبيرة لو عجل محرم بك قلبلا بضرب النار .

من البادى . . . ؟ الاجابة على هذا السؤال بصورة قاطعة فيه صعوبة . فكلا الفريقين يرمى مسؤولية بدء المركة على الآخر

ابراهيم باشا صرح نقلا عن حصروا المعركة بان الغر فاطة البريطانية  
داتموث هي التي بدأت الاشتباك عندما حاولت الاستيلاء على  
حراف مصرية ، فرفض رجالها التسليم لها فكان القتال ، الانجليز  
يذكرون أن رصاصا أطلقت من سفينة مصرية كانت السبب في  
اشعال القتال .

على كل نحن نعلم مسبقا صعوبة تحديد المسئول عن اشعال  
القتال في مثل تلك الحالات ، حيث يختلط كما يقال الحابل بالنابل .  
وتختلف وجهات النظر وفقا لمكان المشاهدين أو المراقبين . وانما  
الأمر الذي لا جدال فيه ، أن أساطيل الحلفاء باختلافها لابوغاز  
واقترابها من الاسطولين المصري والتركي ، قد أناحت فرصة  
للاشتباك . وتعتبر المسئولة أولا وآخرا عن جميع الأحداث التي  
أعقبت ذلك .

المعركة كما رأينا لم تستغرق أكثر من ثلاث ساعات . وقد  
اشتمل الاسطولين المصري والتركي على ٦٢ قطعة حربية لم يعابها  
سوى ٢٧ قطعة تابعة للحلفاء ولكن العامل الفعال في المعركة كان  
لابوارج الكبيرة . ولم يكن لدى الاسطولين المصري والتركي منها  
سوى ثلاث مقابل عشر بوارج على الجانب الآخر .

انبع اسطول الحلفاء حطة شبيبة بلك الذي اتبعها نلسون في  
معركا أبو فتر البحرية مع اسطول نابليون . الحطة هي حصر سفن  
العدو داخل شايح صيق ثم تركيز الضربات تحسرو كل قطعة من  
قطعه . هذه الحطة سمات تحركات الاسطولين المصري والتركي . فإذا  
أضعفنا لذلك ان سفن الحلفاء كانت أقوى وأحدث سلاحا وربما أرقى  
قيادته وأكبر حبرة كان من السهل التنبؤ بالنتيجة . ان رجال  
البحرية سواء من المصريين أو الأتراك لم يتحاذوا خلال ذلك القتال

كما لم يتخاذل رجال الاسطول الفرنسي في معركة أبو قير البحرية .  
ولكن النتيجة كانت حتمية في الحالتين وهي هزيمة الجانب المحصور  
داخل خليج ضيق . ولذا لا يحق لأى باحث غربى أو شرقى الاقلال  
من شأن بحرية مصر وتركيا فالحزيمة لم تكن نتيجة تتخاذل وانما  
نتيجة ظروف المعركة . . . الموقع غير المناسب . . . السلبية . . .  
تغيب القيادة . . . تضارب التعليمات .

عاد ابراهيم الى نافرين حيث ساهد آثار المأساة وكيف هلك  
السفن نسفا وعرقا فقرر اخلاء كثير من المواقع مع تركيز رجاله في  
مدينتى كورون ومودون الى أن يصله أوامر أخرى .

قوبل هذا الحدث بابنهاج عظيم من جانب النوار اليونان .  
وقيل ان الدول الأوروبية المتحالفة فوجئت به لأن اتفاقها كان قاصرا  
على استخدام أساطيلها وسيلة للضغط على الباب العالي ومحمد على  
لا للدخول في معركة فعلية . ولعل ما قيل لم يكن الا ذرا للرماد .  
فان الدراسة المتأنية لتلك المعركة تكشف عن تحرش الأساطيل  
الأوربية منذ البداية بالاسطولين المصرى والتركى ، القابعين داخل  
خليج نافرين . بأسلوب أكثر شبها بذلك الذى اتبعه نلسون مع  
الاسطول الفرنسى عام ١٧٩٩ فى معركة أبو قير البحرية . وعلى أى  
الأحوال فان تلك المعركة . . . . . سواء جاءت موافقة لحطة الدول  
الأوربية أو غير موافقة . . . . . فانها حققت مأربها كضربة قوية لمركز  
الباب العالي ومصر فى بلاد اليونان .

والواقع أن هذه المعركة قضت على الكثير من أحلام محمد على  
وطموحاته . كما أنها قضت على جانب كبير من المعدات العسكرية  
والسفن البحرية . التى استنزفت موارد الشعب المصرى فى سبيل  
اعدادها . فضلا عن القوة البشرية من المصريين الذين فقدوا أرواحهم

خلال المعركة . ولو أن بعثة كرادوك الانجليزية وصلت الاسكندرية قبل رحيل الاسطول المصرى بيومين لما تحرك ذلك الاسطول الى بلاد اليونان وما وقعت تلك الكارثة . . . . . وما خسرت مصر ثلاثين ألفا من بين اثنين وأربعين ألفا من رجالها الذين أرسلوا لليونان . وما خسرت ١٩ قطعة بحرية من بين ٣١ قطعة غير ثلاثة أرباع مليون جنيه غرقت مع القطع البحرية وغير الناقلات التى تعد بالآلاف .

لم يكن أمام الباب العالى وإبراهيم باشا بعد تلك المعركة الا ان يتفاهما ، على ضرورة التراجع ابتعادا عن الاسطول الأوربى وعن ضغوطه .

أما عن محمد على فقد قرر أن يضع حدا لجميع الخطط الفاسدة التى جرت اليها السياسة العثمانية . وفى اليوم التالى لعلمه بأنباء معركة ناغارين المحزنة استدعى قنصل انجلترا ليؤكد له مسؤوليته عن سلامة وأمن جميع الرعايا البريطانيين فى مصر فى حالة نشوب حرب بين دولته والدولة العثمانية . وكان من أقوال محمد على له : « . . . . . انى أعرف جيدا كيف أحتفظ بالسمعة الطيبة التى اكتسبتها عن عدلى واحترامى للحريات مهما تكن الظروف . . . . » وفى ذات اليوم أرسل محمد على لابنه إبراهيم أمرا اياه بإيقاف جميع عملياته العسكرية ضد الشوار اليونان . وبطبيعة الحال انصاع إبراهيم لقرار أبيه . ولم يتحول عنه برغم جميع الضغوط الى أن تم الاتفاق على الانسحاب النهائى .

ومن أجل الاتفاق على الانسحاب زار أميرال البحر البريطانى كودرington الاسكندرية فى ٦ أغسطس ١٨٢٨ حيث أجرى مفاوضات مع محمد على وقعت فى نهايتها معاهدة بينهما نصت على اخلاء القوات المصرية لبلاد اليونان بالشروط التالية :

- ١ - إعادة أسرى اليونان لوطنهم وتحرير من بيع منهم بمصر .
  - ٢ - يتعهد الأميرال الانجليزى باعادة الأسرى المصريين واعادة القطع البحرية المصرية التى أسرت أثناء المعركة .
  - ٣ - اخلاء القوات المصرية لبلاد اليونان على أن يتولى محمد علي نقلهم على سفنه .
  - ٤ - لا يكره اليونانيون المقيمون بمصر على الرحيل عنها كما لا يجوز ارغامهم على البقاء فيها . ويسمح لمن يشاء من اليونان باصطحاب الجيش المصرى عند عودته لوطنه مصر .
- وبمقتضى تلك الاتفاقية ، بدأ الجيش المصرى انسحابه الذى تم نهائيا من اليونان فى أكتوبر ١٨٢٨ . أما بقايا القوات التركية فقد ارغمت على الانسحاب أيضا ، بعد انزال القوى الأوروبية لبعض فرقها لتحقيق الجلاء التام عن اليونان .
- أما عن سلطان تركيا ففسد أصرا على عدم الاعتراف بالأمر الواقع . وقرر أن يقف ٥٥٥٥ لو أدى الأمر ٥٥٥٥ ضد جميع دول أوروبا . وانتهى به الأمر الى الاستبساك فى حرب قاسية مع روسيا دون أن يكون لديه الاستعداد الكافى لمواجهة ٥٥٥٥ ومن ثم كانت هزيمته واضطراره للتوقيع على معاهدة أدرنة ، التى عرضت عاينه فى ١٤ سبتمبر ١٨٢٩ بعد أن احتلت الجيوش الروسية بعملية منفردة تلك المدينة . ومع أن الجيش الروسى أعاد جميع الأراضى التابعة للدولة العثمانية فى البلقان ، التى سبق له احتلالها خلال الحرب ، إلا أن تركيا تنازلت لروسيا فى المقابل عن جانب من أملاكها فى القوقاز .

وهكذا أغلقت مشكلة اليونان ٥٥٥٥ ولكن السلطان العثمانى نجح حققة فى استخدامها كوسيلة لاستنزاف تابعه المحسود

واضعافه . فمما لا شك فيه أن محمد علي خرج من تلك المشكلة وهو أقل قوة وامكانية مما كان قبلها .

وقد نسب محمد علي جميع الكوارث التي حاقت به الى السلطان « الذي أراد العمل معه على وجه استغلاله الى أقصى حدود الاستغلال . . . . . ذلك السلطان الذي أثبت هو ورجاله أنهم أبعد من الخير . . . . . » وانهم يتشبهون تشبث الخنازير . . . . . » وبأن له أن الدول الأوروبية على اختلاف أهدافها ونباين مطامعها قد تتحد . . . . . كما بأن له أنه لكي يساوم ينبغي أن يكون لديه ما يساوم عليه . . . . . فلم يكفه كورقة للمساومة ما أظهره من استعداد للجلاء عن اليونان . . . . . فهذا أمر سلبي ولا بد من أمر ايجابي . وبأن له أخيراً أن انجلترا لا تنحس . . . . . كثيراً في الأحوال العادية . . . . . لأخصاغ المسائل المباشرة والمتساكن المحدودة لنطاق المبادئ العامة . ومن ثم فبرغم ارتباطها مع النمسا ومترنيخ على مبدأ الحفاظ على الممتلكات والامبراطوريات الشرعية لم تخضع موقفها في اليونان لذلك المبدأ . ولم تتورع عن اتخاذ موقف مؤيد للتابع وهو اليونان ضد الدولة العثمانية صاحبة السيادة . أو صاحبة الحق الشرعي في السيادة على بلاد اليونان .

خلاصة القول أن محمد علي . . . على أهون الأهتمامات . . . فقد التفت في إمكان وضع سياسة مشتركة بين القاهرة واستانبول . وتأكد اعتقاده في أن محموداً سلطان تركيا ورجاله يسبقون سيرا حثيثاً نحو تدمير أنفسهم وتدمير الدولة العثمانية . فنجاح الثوار اليونان سيكون أكبر حافز للصرب . . . . . والبسلفار وغيرهم من القوميات العنصرية والدينية في البلقان للانقلاب على الدولة العثمانية . والاستقلال عنها . كما أن سياسة ذلك السلطان ورجاله

هي التي أدت الى ابتلاع فرنسا للجزائر ، وابتلاع القبرص نفسها  
للقوقاز وتقدمه نحو البلاد العربية .

والآن كيف يكون موقف محمد علي ؟ انه يخشى على  
ولايته في مصر . . . . . وعلى كل بنائه الاقتصادي والاجتماعي  
والعسكري فيها ، عبر سنوات طويلة كافح فيها مع شعبها وبخيراتها  
ومواردها . . . . . فهل يترك كل هذا التراث لينتقل الى باشا آخر  
من باشوات السلطنة لبيده كما هي عادة الباشوات وعملاء الأتراك ،  
. . . . . أم يبحث جادا عن ضمانات لمصر . . . . . التي أحبها  
و ضمانات لبقائه فيها .

تلك الضمانات . . . . . من وجهة نظره . . . . . لا تتوافر  
الا بنشر نفوذه على المنطقة العربية . . . . . مصر . . . . . وبلاد الشام  
. . . . . وساحل العرب . . . . . والعراق ان أمكن . لأنها تكمل بعضها  
اقتصاديا مما يسهل له مهمة الدفاع عنها . . . . . على أن يكون ذلك  
ان أمكن . . . . . داخل نطاق السيادة العثمانية . . . . . ولو ظاهريا .  
فان أبت . . . . . فمستقلا عنها . . . . . وخارج نطاقها الشرعي . وفي  
نلك الحالة الأخيرة فلا مانع لديه من السعي لتأكيد مركزه دوليا . .  
وذلك بالحصول على تأييد الدول الأوروبية واعترافها به . . . . . تقديرا  
لمواقفه . . . . . ولقوته . . . . . ومدى ما يستطيع تقديمه لها من  
خدمات . وعلى هذا المحور دارت معظم سياسة مصر ومحمد علي  
الخارجية في الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر .

ولعل أول نجاح استطاع محمد علي تحقيقه في هذا الاتجاه  
هو اكتسابه فعليا وان يكن بصورة غير رسمية وغير مباشرة لاعتراف  
دولي بمركزه ومركز مصر وأهميته وأهمية مصر للعالم . حيث  
فاوضته دول أوروبا مباشرة ودون وساطة تركيا . وأعلنت له

• ولا إبراهيم رغبتها في الحفاظ على العلاقات الودية مع مصر . بل  
وقاوضته في أن تبقى على الحياد اذا نشب قتال بين تركيا ومصر .

• ان حرب اليونان صيرت مصر دولة مستقلة واقعيا عن تركيا .  
وليس ادل على ذلك من اتفاق أغسطس ١٨٢٨ السابق الذكر والذي  
تم عقده مباشرة مع مصر على يد بوغوص بك في اول وثيقة سياسية  
أبرمها وزير خارجية مصر مع دولة أجنبية في عهد محمد علي .





## الحواشي

٩

(١) ولد محمد علي في عام ١٧٦٩ أو ١٧٧٠ في قولة . وهي قرية تقع على دعة تلك الصخرة المعلقة في البحر على بعد ١٢٨ كم شرق سلاويك ، ٣٣٠ كم الى الغرب من الاستانة . وكان والده ويدعى ابراهيم أغا يعمل رئيسا للحرس المكلف بحراسة الطرق . ويبدو أنه توفي ولمحمد علي ما لا يزيد عن ١٥ عاما . قيل أنه اشترك مع تاجر فرنسي عمل في تجارة الدخان ، كما أنه قيل في رواية أخرى أنه عمل مع رجال الأمن السابقين لحاكم قولة وواز بشقته حتى عينه قائدا لحرسه . وذكر محمد علي ذاته عن حياته الاولى أنه عبي صابلا في الاسطول العثماني ثم ردى الى ربه يوزباشي لما أثبتته من شجاعة أنارت حسد الكثيرين بما فيهم عمه ، فأرسله الى مصر مع الفرقة الألبانية .

(٢) خلال تلك المرحلة أيضا جاءت حملة فريزر البريطانية الى مصر وسارت الى رشيد . وكان مصيرها كما تعلم الهزيمة وهكذا فشل هذا الجتساح من المطة البريطانية للضغط على الدولة العثمانية . وبهذه المناسبة يجب علينا أن نوضح أن تلك الهزيمة اما تحققت بفضل شجاعة أفراد الشعب المصري واستماتته ممن قذفوا بأنفسهم على رجال الحملة موجة بعد أخرى غير حاملين سوى أسلحتهم البدائية حتى أمسكوا بتلابيب الجنود البريطانيين الذين حاصروهم داخل أرفه رشدا يدا بيد . ومع ذلك فقد تسبب معظم الفضل في نصر رشيد ، كما ذكر الجرتي لسواهم ، برغم أن الجانب الأكبر من الحسانر والتضحيات في الأرواح كانت بين المصريين .

(٣) الطامرة البارزة في حياة الشعوب الأوروبية فيما بين ١٨٢٠ - ١٨٧٨ هي قيام الثورات الوطنية والحركات القومية . ويشتمل ذلك بوضوح في الحركة القومية الإيطالية والحركة القومية الألمانية وفي النعرة القومية والوطنية التي ظهرت بين الصرب واليونان والبلجيكا والرومان . ولم يقدر لتلك الحركات القومية - إذا استثنينا الحركة القومية الألمانية - تحقيق أهدافها إلا بفضل بعض المساعدات الخارجية ، خاصة تلك التي جاءت من إنجلترا وفرنسا . أما روسيا فركزت تأييدها لصالح الشعوب البلقانية .

(٤) سمح الحكم العثماني ببقاء الوحدات والجمعيات تقيسها لسياسة التسامح الديني ، التي لعبت تحت ضغط الدول العظمى وتأثير نفوذها ، وبفضل ما وصل إليه أفراد الجالية اليونانية من مواقع النفوذ في الاستانة .

(٥) سرّب هذا اللفظ إلى العامة المصرية بواسطة المصريين العائدين من حرب اليونان وأصبح يطلق على الخارجين على القانون في مصر ممن يعتمدون على السلب والنهب .

(٦) تحايل البحارة اليونان بأساليب مخيلة على القوانين الدولية خلال الحروب النابليونية وفترة الحصار الفساري . من ذلك أنهم لجأوا إلى رفع ، ما يناسب ما يواجهون من مواقف ، من أعلام الدول على سفنهم . فرفعوا أعلاما روسية خلال تحوالهم في البحر الأسود وأعلاما تركية أو أورسية خلال تحركاتهم في البحر الأبيض وذلك ناسئا لأنفسهم ولتجارهم .

(٧) رفع لورد بيرون شعاره الشهير "We are all Greeks" وقد وصل إلى ميسولونجي في ٥ يناير ١٨٢٤ ليشارك في انقاذ أحفاد الحضارة الإغريقية من الأخطار على حد تعبيره . وأشرف على تكوين فرقة من الثوار اليونان ، أنفق عليها وعلى تزويدها بالسلح والمؤن من ماله الخاص . أصيب أثناء وجوده باليونان بمرض عضال ، يغلب على الظن أنه التهاب رئوي . ومات طريح الفراش في ذات المدينة وذات العام . ولعل أكبر خدمة قدمها لورد بيرون للثورة اليونانية هي نجاحه ، بفضل ما وضعه من شعر في إلهجة مشاعر الشعب البريطاني وإثارة عطفه على ثوار اليونان . مما أرغم الحكومة البريطانية على اتخاذ موقف إيجابي لصالحهم ، برغم سياستها التقليدية التي اتصفت بالتحفظ .

(٨) عاصر محمد علي سلاطين الأتراك سليم الثالث ١٧٨٩ - ١٨٠٧ ومصلطفي الرابع ١٨٠٧ - ١٨٠٨ ومحمود الثاني ١٨٠٨ - ١٨٣٩ وعبد المجيد ١٨٣٩ - ١٨٦١ ومحمود الثاني هو ابن لمحنة فرنسية جرى بها إلى الاستانة بواسطة القراصنة البربر . وقد وصل إلى السلطنة في عام ١٨٠٨ عقب انقلاب تم في داخل العاصمة وكان له من العمر إذ ذاك ٢٣ عاما . استمر خلال ٣٠ عاما يحاول إتمام الإصلاح الذي بدأه سليم الثالث سواء في الجيش أو الدولة . ولم يكن الإصلاح أمرا مقبولا في ذلك الحين . أو من الأمور التي يمكن أن تتم في هدوء وسلام وخاصة أنه كان موجها ضده الانكشارية . وعندما ثار الانكشارية بسبب اعتراضهم على إصلاح الجيش ، قدم لهم محمود الثاني وزيره الذي أشرف على تنفيذ سياسته الإصلاحية ضحية بريئة كسبا للوقت . وقد حارب محمود الثاني الاقطاع في آسيا الصغرى وأعاد سيطرة الدولة العثمانية على العراق . وانتهم فرصة الثورة اليونانية وهزيمة الانكشارية فدير المديحة التي قضت نهائيا عليهم أي على الانكشارية بعد أن تسببوا في تعطيل جميع المحاولات التي بذلت لإصلاح الجيش التركي عن طريق التمرد والعصيان ، وهكذا بخلصت الدولة العثمانية من طبقة الانكشارية في عام ١٨٢٦ بفضل اندفاعات محمود الثاني ومغامراته . وقد كان من نوع الرجال الذين لا ترهبهم موجات التمرد . وعندما هزم في معركة نفارين في أكتوبر ١٨٢٧ أعلنها حربا مقدسة ضد « يونان أوربا المسيحيين » . وهذا أدى إلى الحرب الروسية التركية ١٨٢٨/١٨٢٩ التي انتهت بعد هزيمة العثمانيين بصلح أدرة . ثم دخل في صراع مرير مع محمد علي استمر حتى نهاية حكمه .

(٩) يمكن أن نسترشد بما جاء في تقرير لمختار بك ناظر المعارف العمومية في الثلاثينات من القرن التاسع عشر عن المدارس التي كانت تمويل الجيش المصري بكوادره ، وأعداد تلاميذها وذلك وفق البيان التالي :

مدرسة الفرسان	٣٠٠	تلميذ
» المدفعية	٣٠٠	»
» المشاة	٨٠٠	»
» الموسيقى	١٥٠	تلميذ
» المهندسخانة	٢٢٥	»
» الطب	٣٠٠	تلميذ
» الطب البيطري	١٢٠	تلميذ

وللتعرف على نوعية الدراسة يمكن أن نأخذ كمثال مدرسة النساء في الثلاثينات حيث شملت المناهج وفعا لتقرير بورنج .

١ - مبادئ التحصين والهجوم على الحصون والدفاع عنها .

٢ - الطبوغرافية ورسم الخائط .

٣ - مناورات النساء والتدريب على استخدام السلاح .

٤ - واجبات الخدمة الداخلية والشرطة ونظام الحاميات والأورط والبلوكات .

(١٠) يحضرنا في هذا المجال ما ذكره الجبرتي في حوادث عام ١٢٣٦هـ - أغسطس ١٨٢١ - إذ كتب « وفي منتصفه سافر الباشا الى الاسكندرية لداى حركة الأروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالديح والقتل ، حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من استانبول وفيها قاضى العسكر المنولى قضاء مصر ومن بها أيضا من السفار والحجاج ، فقتلوهم ذبحا عن آخرهم ومهمم القاضى وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك . وشاع ذلك بالنواحي وانقطعت السبل فنزل الباشا الى الاسكندرية ، وشرع فى تشييل مراكب مساعده للدونامة ( للمراكب ) السلطانية » .

ولعل فى مثل هذه الأحداث ما يكشف لنا عن جانب من الأسباب التى شجعت مصر محمد على على قبول النداء الذى وجهه اليها سلطان تركيا لاختضاع ثورة كريت واليونان . أن انتشار أعمال القرصنة فى البحر الأبيض كانت تعرض السفن المصرية ، التى بدأت تمارس نشاطها فى نقل حاصلات مصر وغلالها الى موانئ أوروبا ، للتهريب والاختطاف . بل بدأت تعرض الساحل المصرى الشمالى أحيانا لاعتداء الثوار . وبذلك أصبحت الثورة اليونانية عاملا من عوامل ازعاج النشاط التجارى لمصر فى البحر الأبيض . ذلك النشاط الذى أصبح يمثل عنصرا له قيمته وأهميته فى بناء الاقتصاد المصرى الحديث .

(١١) يمكن ترتيب أنواع المراكب المصرية من الأكبر للأصغر وفقا لما يلي :

( أ ) الغليسون : وهو يعادل البارجة ويطلق عليه أحيانا اسم قباقي .

عدد المدافع	من ٧٤ - ١٠٦
الطاقم	من ١٠٠٠ - ١٢٠٠

(ب) الفرقاطة :

عدد المدافع	من ٥٤ - ٦٠
الطاقم	من ٥٠٠ - ٦٥٠

(ج) القرويت :

عدد المدافع	حوالي ٢٤
الطاقم	من ٢٥٠ - ٣٠٠

( د ) الابريق :

عدد المدافع	من ٦ - ١٨
الطاقم	من ١٥٠ - ٢٠٠

(هـ) الغولكات : وهي أشبه بالآباريق ولكنها طراز فرنسي

عدد المدافع	من ١٠ - ٢٠
الطاقم	من ٢٠٠ - ٢٥٠

( و ) الخرافة : وهي من السفن الصغيرة التي كانت تعمل بالنار ثم توجه بواسطة

دفع الريح لشراعها ، نحو سفن الأعداء فتصطدم بها وتشتعلها .

( ز ) الكوتر : بدون مدافع والطاقم حوالي ١٠٠ رجل على الأكثر .

( ح ) النقالة : وهي مركب متوسط لقلل الجمود ومهماتهم وحواملها مائة وعشرون

حيدها بخلاف طاقم صيحر بدون سلاح ولذا فهي تتحرك تحت حماية القطع الحربية .

(١٢) بيان تفريسي بالقلم الحربية المصرية في معركة هاديس وما فقد منه  
حلاف البقالات .

النوع	العدد	الفاقد	الباقى
فرقاطات	٤	٢	٢
قراويز	١٠	٥	٥
أباريز	٦	٣	٣
حراقات	٦	٥	١
غولتساب	٥	٢	٣
	٣١	١٩	١٢

(١٣) هناك محاولة سببية بهذه في تاريخ فرنسا الحديث أو تاريخ نابليون  
- عندما كلف نابليون من قبل حكومة الإدارة بقيادة الحملة الإيطالية ضد قوات الد  
في إيطاليا - وتناجعت انتصاراته المذهلة ولم يكن له من العمر أكثر من ٢٧ عام  
تخوف أعضاء حكومة الإدارة من ارتفاع شعبيته وازدياد طموحاته . فقرروا انه  
القائد العريق كيلرمان ليشتركه القيادة . فأوقفهم نابليون عند حدهم بخطاب  
أصبح شهيرا جاء فيه « اذا كنتم ستضعون مختلف العقبات في طريقى . فلا تنتظ  
منى بعد الآن خيرا . فلكل أسلوبه الخاص في ادارة العمليات الحربية والجنرال كيلر  
أكثر منى خبرة لكننا اذا عملنا سويا فلن يكون عملنا الا شيئا زهيدا . فقل  
من مستوى عادى يعمل بمفرده خير من قائدين عظيمين اذا اشتركا معا في قي  
واحدة » .

(١٤) خسرو باشا هو اول ولاية مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها وأصله  
مسالك القبطان باشا . وكانت ولايته على مصر هي أول عهد بالمناصب الادارية العليا  
وصفه المؤرخ المصرى شفيق غريال بأنه « لم يفهم من فن التنظيم العسكري أكثر  
جبح أنفاز » من اضطام الناس ووضع أبدانهم في ثياب مقمطة تشسسيها بالج  
الفرنسي ، ولم يفهم من فن الادارة الا قطع الرؤوس » - وقد فشل خسرو في ا  
تنظيم النستون المالية والادارية لمصر ، كما لم يستطع اخضاع الأمراء الماليك بعد  
سقطوا على الصعد وكان عذره في ذلك أن ما لديه من قوات عثمانية لا تملك  
ولس بينها فرسان ، ومن هنا تغلب الماليك في الصعيد وتقدموا لكثير من أر  
الوجه البحرى وأدى هذا الى نقصان موارد خسرو المالية والى اختلال تموين القاهرة

فانقطع بالسالى دفع رواتب الجند فهساجوا وتمردوا كما جرت عادتهم فى مثل تلك الظروف وأنزلوا خسرو عن كرسيه . ولكنه هرب إلى دمياط متحيا فرصة العودة إلى مقره ومقر إدارته فى القاهرة ، الأمر الذى لم يتحقق . وعندما أصبح محمد على صاحب الكلمة العليا فى القاهرة قام بحركة تمثيلية هدفها اظهار ولائه للسلطان . فدعا خسرو باشا للعودة إلى منصبه ومقر إدارته . وحدث ما كان متوقعا إذ لم يرض به الجند وهددوا بقتله فآثر ذلك السلامة وانسحب باشا من مصر . وكرر محمد على حركته المسرحية مع خورشيد باشا وإلى الاسكندرية . وبرغم اعتماد السلطان لولايته على مصر إلا أن الجند تمردوا عليه وهاجوا صده لفساد سلوكه وسوء تدييره وحاصروه فى القلعة . وعقب ذلك نودى بمحمد على وألوا على مصر فى مايو ١٨٠٥ . ووصل فرمان السلطان بالموافقة على ذلك . وكان فى ذلك ما فطع أسلام خسرو وأماله فى استعادة ولاية مصر . وقد نظر خسرو لمحمد على باعتباره المسئول الأول عن الاطاحة به ، بما دبره من دسائس ومكائد صده . وعلى كل فقد ايسم له الحظ ثانية بعد عودته لتركيا وارتقى فى مناصب الدولة وأصبح فيطان باسا كما رأينا . ولكنه بقى حاقدا على محمد على ، وحاول الكيد له ووضع العصابات أمامه حيثما وجد إلى ذلك سبيلا .

(١٥) قيل أن من بين سكان جريزه حيوس المالح عددهم مائة وثلاثة عشر ألفا لم يبق على قيد الحياة منهم بالجزيرة أكثر من ١٨٠٠ فرد فقط . إذ قتل نحو ثلاثة وعشرون ألفا . ويصح سبعة وأربعون ألفا كرقبق . واستطاع الماقون الافلات هربا حيث لجأوا إلى الجزر الأخرى .

(١٦) فى قضية ارسال الأسرى إلى مصر يراجع كتاب :

جورج حداد : تاريخ أوروبا والمسألة الشرقية من ١٤٥ - حلب - ١٩٤٨ .

(١٧) توفى كاسلريه منتحرا نتيجة انهيار عصي أصانه بفعل الازهاق فى ١٨٢٢/٨/١٢ .

(١٨) يمكن الرجوع لمزيد من المعلومات عن ذلك الموضوع للكاتبين السابقين :

Douin Navarin p 150, Caïre 1927.

Durand Viol - Les Campagne Navales De Mohamed Aly et D'Ibrahim  
Vol. I, pp. 378-79, 382-83. Paris, 1937.





## مراجع الكتاب

---

- ١ - إدوارد جوان : مصر في القرن التاسع عشر - القاهرة - ١٩٢١ .
- ٢ - أمين سامي باشا : تقويم النيل وعصر محمد علي - القاهرة - ١٩٢٨ .
- ٣ - جورج حنّاد : تاريخ أوروبا والمسألة الشرقية - حلب - ١٩٤٨ .
- ٤ - شفيق غربال : محمد علي الكبير - القاهرة - ١٩٤٤ .
- ٥ - داود بركات : ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا - القاهرة - ١٩٣٥ .
- ٦ - عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار  
ج ٣ ، ج ٤ القاهرة - ١٣٢٢ هـ .
- ٧ - عبد الرحمن الراغب : عصر محمد علي - ( طبعة رابعة ) -  
القاهرة - ١٩٨٤ .

- ٨ - عبد الرحمن زكى : الجيش المصرى فى عهد محمد على -  
 ٩ - د' عزت عبد الكريم : مجمل تاريخ مصر - القاهرة - ١٩٤٥  
 ١٠ - د' محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على - القاهرة -  
 ١٩٤٨ .

Fisher S.N. : *The Middle East* New York, 1959. — ١١

Miller W. : *The Ottoman Empire 1801-1913*. — ١٢  
 Cambridge 1913.

## الخرائط

---

- ١ - الأملاك العثمانية في أوروبا أوائل القرن التاسع عشر ٢٥
- ٢ - مناطق الصراع خلال الثورة اليونانية وحدود اليونان الحالية . . . . . ٩٨
- ٣ - حصار ميسولونجى . . . . . ١٠٨
- ٤ - معركة نفارين البحرية . . . . . ١٤٩

الفهرس

## الموضوع

٥	.	.	.	تقديم . . . للأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان
٧	.	.	.	تعريف بالكاتب . . . . .
٩	.	.	.	مقدمة . . . . .
١٢	.	.	.	الفصل الأول : استراتيجيه محمد علي
٢١	.	.	.	الفصل الثاني : الثورة في البلقان
٤٣	.	.	.	الفصل الثالث : ثورة اليونان
٦٥	.	.	.	الفصل الرابع : قوة مصر العسكرية
٩٥	.	.	.	الفصل الخامس : مصر والحرب مع اليونان
١١١	.	.	.	الفصل السادس : مصر والسياسة الأوروبية
١٢٣	.	.	.	الفصل السابع : التحرك الأوروبي
١٤٥	.	.	.	الفصل الثامن : معركة نفارين البحرية
١٦١	.	.	.	الحواشي . . . . .
١٦٩	.	.	.	مراجع الكتاب . . . . .
١٧١	.	.	.	الخرايط . . . . .

● صدر عن هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ  
د. عبد العظيم رمضان
- ٢ - على مامر  
اعداد : رشوان محمود جاب الله
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة  
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر
- ٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة  
د. محمد نعمان جلال
- ٥ - غارات أوروبا على السواحلية المصرية فى العصور الوسطى  
عليه عبد السميع
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج. ١  
لمعى المطيعى
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي  
د. عبد المنعم ماجد
- ٨ - رؤيه الجبري لازمة الحياة الفكرية  
د. على بركات
- ٩ - صحاح مطويه من تاريخ الزعيم مصطفى كامل  
د. محمد أنيس
- ١٠ - نوفيى دياب ماحمة الصحافة الحزبية  
محمود فوزى

- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية  
شكري القاضي
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير  
د. نبيل راغب
- ١٣ - أكلوبة الاستعمار المصري للسودان  
د. عبد العظيم رمضان
- ١٤ - مصر في عصر الولاة  
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي  
د. علي حسن الخربوطلي
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر  
د. حلمي أحمد شلبي
- ١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني  
د. محمد نصر فرحات
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية  
د. علي السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة نوحيد القطرين  
د. أحمد محمود صابون
- ٢٠ - المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن قهبي  
د. محمد أنيس
- ٢١ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ١  
توفيق الطويل
- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر  
جمال بلوى

- ٢٣ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج٢  
توفيق الطويل
- ٢٤ - الصحافة الوفدية  
د. نجوى كامل
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى  
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة  
د. سعيد اسماعيل على
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١  
ترجمة : محمد فريد أبو حديد
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢  
ترجمة : محمد فريد أبو حديد
- ٢٩ - مصر فى عصر الاخشيدين  
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ٣٠ - الموظفون فى مصر  
د. حلمى أحمد شلبى
- ٣١ - خمسون شخصية وشخصية  
شكرى القاضى
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج٢  
لعلى المطيعى
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى  
د. خالد الكومى
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية  
د. يونان لبيب رزق



- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة  
عبد الحميد توفيق زكى
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢  
ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى
- ٣٧ - الشيخ على يوسف  
تأليف : د. سليمان صالح
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى  
العصر العثمانى  
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
- ٣٩ - قصة احلال محمد على لليونان  
د. جميل عبيد
- 

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
*Bibliothèque Alexandrine*

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٠/٧٢٣٤

ISBN — 977 — 01 — 2535 — 0



يتحدث الكتاب عن احتلال محمد علي لبلاد اليونان ، وهو يبدأ بتتبع استراتيجية مصر في عهد محمد علي خطوة خطوة ، ويحاول تحليل موقف الدولة العثمانية — التي كانت مصر جزءا من امبراطوريتها الواسعة وولاية من ولاياتها — بازاء امتلكها في أوروبا ، وازاء شعوب البلقان التي لم تكف عن الثورة عليها . ويركز الكتاب على الزعامة الثورية اليونانية ضد الأتراك العثمانيين ، وكيف وقفت الدولة العثمانية عاجزة أمامها حتى لجأت الى مصر محمد علي لإنقاذها . ثم يناقش الخطوات والمراحل التي انتهت باحتلال محمد علي لليونان ، وما أعقب ذلك من تحرك أوروبي عسكري لمواجهته ، ويبرز محاولة محمد علي تجنب الصدام العسكري مع الدول الكبرى لولا سياسة الحكومة العثمانية الخرقاء التي دفعته الى الالتحام بالقوى الكبرى ، فكانت الهزيمة في موقعة « سافارين » الشهيرة يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ . وقد كان بعد تلك التجربة القاسية أن أخذ محمد علي يتطلع الى الاستقلال بمصر عن السياسة العثمانية وتوجهاتها ، وهو ما نجح فيه نجاحا محققا .

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)